الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس ـ مستغانم ـ

كلية الأدب العربي والفنون

" قسم الأدب العربي "

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص الدراسات الأدبية المقارنة

تحت عنوان :

أثرالرومانسية الغربية في الشعر العربي الحديث "المساء الحزين لأبي القاسم الشابي"

إعداد الطالبة :

*ـ محمد باي نادية

تحت إشراف الدكتور :

*ـ قوفي أحمد

السنة الجامعية : 2015 - 2016

مقدمــة

لقد عرف الشعر العربي حركة مكثفة على أيدي العديد من الاتجاهات والمدارس كان هذا في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث ظهر جيل جديد من الشعراء والأدباء يختلف عن الجيل الكلاسيكي القديم، ولقد ثقف بالاداب العربية المختلفة خاصة الفرنسية والإنجليزية .

زخر الشعر العربي بفيض غزير من الشعراء وأمواج شعرهم المتلاحقة على مدى العصور حيث يقف الشعر العربي شاهد اعلى هذه الثقافات الملاحقة التي صبت جميعا في مصب العصر الحديث، فهذا لما له من ظروف خاصة وإتجاهات متشبعة كانت تمازج الشعوب.

وقد جاء شعرهم معبرا عن خلجات النفس الإنسانية والعاطفة المتأججة، الطبيعية ومظاهرها وكذا الحب وأماله وآلامه، مما عبر عن ميولهم ونزعتهم المتمثلة في النزعة الرومانسية إن شعرهم روح تستمد من تنهدة تكفكف دموع الحزاني، وأشباح تساكن النفس وتقتات من القلب وكذا هو عاطفة تمد بكثير من الفرح والألم والدهشة وتتآزر مع الفكرة لتخطو معا تناجيان جسرا لتعبر عليه بجعل المجهول معلوما.

فكان شعرهم شعر وجدان الذي يمكننا أن نعده من أهم الأغراض الحديثة لكثرة وتعداد دواوينه وشعرائه، الذي شغل الساحة الأدبية لفترة طويلة، ومن هنا نطرح التساؤل التالي:

كيف كان تأثير الرومانسية الغربية في الشعر العربي الحديث؟

وبالتالي فبحثي يتناول تحديدا هذه الحركة الرومانسية ولم يكن إختيارنا لهذا الموضوع تلقائيا وإنما بعد تفكير طويل وعميق لفت إنتباهنا له ومن الأسباب الذاتية التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هي رغبتنا في التعرف أكثر على مظاهر الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ورغبتنا في التعرف على شعر الشابي وموضوعاته، أما الأسباب الموضوعية تتمثل في قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع.

وقد كانت افتتاحية هذا البحث بمقدمة ومدخل متبوعة بالفصلين فالخاتمة، فالمدخل يحتوي على المذاهب الأدبية الغربية مفهومها وأصولها.

الفصل الأول : يتمثل في مفهوم الرومانسية ثم نشأتها، أي عوامل وظهورها وأعلامها وخصائصها والموضوعات التي تناولها شعرائها، وكان هذا الفصل عبارة عن سرد نظري الرومانسية وتطورها عند الغرب.

الفصل الثاني : وهو عبارة عن جانب تطبيقي لما رأينا في الفصل الأول واخترنا في ذلك [أبو القاسم الشابي وتحديدا قصيدة المساء الحزين وتناولنا فيه ما يلي : نبذة عن حياة الشاعر وأعماله الأدبية، ثم مدرسة أبولو والتطرق إلى القصيدة، و تحليلها و ملامح الرومانسية في شعر الشابي

ثم انتهينا إلى خاتمة، وكانت بمثابة حوصلة عن مظاهر الرومانسية وتأثيرها في الشعر الحديث وشعراءه متتبعة في ذلك المنهج النفسي مستخدمة الوصف كأداة نظرا لطبيعة الموضوع إذ وصفت فيه الرومانسية وقضاياها بغرض التعرف على مضمونها، ثم تطرقت إلى تحليل الجانب التطبيقي وذلك بإستخراج ملامح الرومانسية في شعر أبي القاسم الشابي .

واخيرالايخلو أي عمل من الإعاقات ، فقد إعترضت سبيل بحثي هذا عراقيل أذكر من بينها : غياب أكثر المصادر والمراجع الملمة بدراسة شعر الشابين ضيق الوقت، أشكر كل من ساهم في مساعدتي وخاصة أستاذي المشرف قوفي أحمد .

-مدخــل نظري :

لقد اختلفت المذاهب الأدبية وتعددت اتجاهاتها لدى النقاد والأدباء وأصبح كل مذهب وليد عصره وبيئته ، فهو يظهر في عصر معين كثمرة ظروف ومعطيات خاصة ، ليغلب على غيره من المذاهب حتى يصبح الغالب والمسيطر أن ينزاح بالتدريج عن مقدمته أمام مذهب من المذاهب الأدبية الجديدة ، وهكذا تعاقبت المذاهب الواحد تلو الآخر ، مختلفة في قراءتها ونتائجها ومواضيعها [1] .

تدخل المذاهب الأدبية في الدراسات الأدبية المقارنة تيارات فكرية وفنية واجتماعية , تعاونت الآداب الكبرى العالمية في نشأتها ونموها ، وقد مثل كل مذهب منها روح العصر الذي نشأ فيه خير تمثيل ، فكان فيه بمثابة تيار عام فرصة العصر على صفوة كتابة المفكرين كي يستجيبوا لمطالبه ، ويقود إمكانياته ، ويبلوروا مثله ويشاركوا في وجوه نشاطه الإنسانية، وهذه المذاهب لدى دعاتها وممثليها الحقيقيين ليست مفروضة عليهم من خارج نطاق الفن ، لأنها صادرة عن اقتناعهم وولائهم لروح عصرهم وإيمانهم برسالتهم الإنسانية فيه ، وقد ازدهرت هذه المذاهب في الآداب الغربية منذ أسفر عصر النهضة الأوروبي الاستقرار الكلاسيكي ، بما ساد فيه من أسس فنية وفكرية [2] .

إنه لمن الأهمية بمكان أن ندقق النظر في كيفية نشأة المذاهب الأدبية عند الغربيين ، تتبين إلى أي حد حملت إدارة الأدباء والنقاد في نشأة تلك المذاهب ، وإلى أي حد سبق إليها الأدب باعتباره وسيلة للتعبير عن حالات أو أوضاع اجتماعية تتغير فيتغير تبعا لها الأدب ، وتتغير مذاهبه ، وكل هذا لكي ندرك إلى أي حد لا نستطيع تلك الإفادة ، مادامت ظروفنا وحاجاتنا النفسية والروحية تختلف عن الظروف والحاجات التي دفعت إلى ظهور المذهب الأدبي أو ذاك عند الغربيين [3] .

[1] هلال محمد غنيمي : الرومانتيكية ، دار العودة ، بيروت ، سنة 1973 ، ص 05 .
[2] هلال محمد غنيمي : الأدب المقارن ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع بدون طبعة ، سنة 2003 ص 297 .
[3] مندور محمد : الأدب ومذاهبه ، نهضة مصر للطباعة والنشر ط1 سنة 2004 ص 44/43 .

والإجابة على هذه الأسئلة لا يمكن أن تكون بسيطة موحدة أو سهلة ،وإنما تختلف باختلاف المذاهب الأدبية المتباينة فمن تلك المذاهب الأدبية مثل الكلاسيكية ، ما يستند في جوهره إلى عدد من الأصول الفنية التي استقاها الأوربيون بعد عصر النهضة ، إما عن طريق محاكاة أدباء وشعراء الإغريق أو الرومان الأقدمين ، إما بوساطة المبادئ النظرية التي استخلصها أرسطو من روائع الأدب الإغريقي وجعل منها أصول فنية عامة،وذلك بينما نرى الرومانسية تتميز بالثورة على كافة الأصول والقيود بخاصة الكلاسيكية،كما تعتبر حالة نفسية خاصة وتعبيرا عن تلك الحال،ولذلك لا يوصف بالرومانسية الأدب الصادر بلون خاص من جموع الخيال وسرعة الانفعال وشدته والميل إلى التمرد والشكوى والتشاؤم، فيقال رجل رومانسي كما يقال أدب رومانسي [1] .

بالإضافة إلى هذه المذاهب ، المذهب الواقعي الذي اهتم بتفاصيل الحياة اليومية ، والرمزية التي اتخذت الرمز لغة التعبير،وأسرفت في استخدام الإيقاع الموسيقى والبرناسية التي جاءت لكي تناقض الرومانسية،من حيث العودة إلى سلطان العقل،في توجيه التجربة الشعرية،لكي يعيد إليها أصالتها وموضوعيتها [2].

إن كل مذهب أدبي يتضمن صورا أو خصائص وأصول فنية،كما يحتوي على مضمون أو مادة، وإذا الصور والخصائص والأصول تعتبر مسائل عامة مجردة فإن المضمون أو المادة يغلب أن تكون مسائل خاصة وثيقة الصلة بشخصية الأدباء وأزمانهم وبيئاتهم الثقافية والاجتماعية ، على تفاوت في النسب بحث يمكن أن تحاكي الصور والأصول لتطبق أو الأديب تستخدم في صياغة ، أو تشكيل أي مضمون أو أية مادة ينتزعها الأديب من نفسه ، بحيث لا يعتبر الأخذ بها تنازلا عن الشخصية الفردية أو القومية ، وإنما هي مبادئ فنية يهتدي بها في صياغة مادته الخاصة ، وتحويلها إلى فن جميل [3] .

[1] المرجع السابق ص 45.
[2] المرجع السابق ص 46.
[3] مندور محمد : الأدب ومذاهبه ص 44 .

الفصل الأول

خصائص الرومانسية الغربية

1) مفهوم الرومانسية :

يعد المذهب الكلاسيكي من أولى المذاهب الغربية التي ظهرت في أوروبا ، حيث اشرق شعاعها منذ بداية القرن السابع عشر إلى غاية القرن الثامن عشر، غير أن امتدادها في بعض البلاد الأوروبية استمرت إلى غاية القرن التاسع عشر، وفي ظل هذا المذهب ولدت الرومانسية، التي بنيت على مجموعة من الأسس والمبادئ التي ميزته عن غيره، وقد لقي هوى مجموعة من الأدباء العرب لم يكن مصطلح الرومانسية أقل غموضا من مصطلح الكلاسيكية، ويكفي أن نشير إلى العدد الكبير من التعريفات التي ميزته :

أ) الاشتقاق اللغوي : اختلفت الأقوال في نسبة اللفظة واشتقاقها اللغوي، ولكنها على الأرجح مأخوذة من جذرها الأصلي رومانRoman" وهي كلمة فرنسية قديمة بمعنى القصة الخيالية الطويلة، أو إحدى قصص المخاطرة والمغامرة التي سادت في القرون الوسطى، شعرا ونثرا، وعن هذا الجذر، تفرعت وتطورت كلمات وأوصاف أخرى، في مختلف اللغات الأوروبية، وأول مرة استعملت هذه اللفظة في الإنجليزية "رومانتيسم"(Romantisme) كانت تدل على نوع من الإغراق في الخيال، أما في اللغة الفرنسية فقد استعملت في أكثر من معنى، وهي المعنى الخاص "بالحنين"و"الحزن" [1].

لقد شهد تطورها الاشتقاقي تطورا شمل بعد ذلك الأشكال الأدبية والجمالية خاصة، بعد انتقالها إلى إيطاليا سنة 1815م، ثم إلى اسبانيا فأصبحت تدل على الإنسان الحالم ذي المزاج الشعري ، المنطوي على نفسه، ثم امتد معناها إلى ما يشمل العاطفة والاستسلام للمشاعر والاضطراب النفسي والفردية الذاتية [2].

---

[1] الأيوبي ياسين : مذاهب الأدب معالم وانعكاسات :الكلاسيكية ، الرومانتيكية ، الواقعية دار العلم بيروت ، لبنان ، ط2، سنة 1984 ص 119 .

[2] الأعرج واسيني : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر مؤسسة وطنية للكتاب الجزائر سنة 1976 ص 202

كما اتخذت هذه اللفظة المعنى القومي، حيث حملت معنى إحدى لهجات سويسرا، التي تطورت هي الأخرى، عن اللفظة "رومانيوس" "Romanius" التي استعملت بمعنى الآداب واللغات القومية المتفرغة عن اللغة اللاتينية الأم [1].

ومما يذكر أن "جان جان روسو Jan-J- Rouseau" من أوائل الأدباء الفرنسيين الذي استعمل هذه اللفظة وهو يصف بها إحدى بحيرات سويسرا، قائلا : هذه البحيرة ذات الوحشة الرومنطيقية [2].

أما أحمد آمين فيوضح ويفصل معاني الكلمة بقولة من معاني هذه الكلمة : الدهشة والعجب والجدة والطرافة والتشويق وهذه المعني التي تتضمنها كلمة"رومانس Romance" كل ذلك يؤكد معان وأوصاف اكتسبتها كلمة رومانسية، وبقيت محافظة عليها من قريب أو بعيد،وأهمها : الفروسية والمغامرة والمشاعر النفسية والخيال والمعنى، وغير ذلك مما دخل إليها مع تطور الآداب .

وجدير بالذكر أن لفظة الرومانسية لم تعتمد في فرنسا فعليا إلا بعد موافقة الأكاديمية الفرنسية التي كستها رسميا سنة 1988م، أي بعد حوالي عشرين سنة من استعمالها من قبل روسو، لتعني أدبيا يتعلق بالفروسية والمغامرة، ويتحدث عن العواطف والمشاعر الفردية بلغة لا تخضع كثيرا لقيود التعبير الكلاسيكي [3].

أما الدكتورة "جيهان صفوة فتعرضت لتعريف الرومانسية في إحدى كتبها التي تعني الحركة الأدبية والفنية والفكرية التي ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر، والتي نادت بإعلاء العاطفة والخيال على العقل والقواعد الفنية، فإنها مشتقة من كلمة "رومانس"Romance" وتعني كل لغة حديثة انفصلت عن اللغة اللاتينية الأم، وربما عن كلمة "رومانيكو Romanico" وتعني الفن الذي نشأ وتطور في غرب أوروبا وهذه

[1] محمد مندور : الأدب ومذاهبه، دار النهضة مصر، ط5، سنة 1973 ص 55 .
[2] هلال محمد غنيمي : الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، ط1 سنة 1973 ص 05 .
[3] الأيوبي ياسين : مذاهب الأدب، معالم وانعكاسات :الكلاسيكية ، الرومانتيكية ، الواقعية دار العلم بيروت ، لبنان ، ط2 ص 121-122 .

الكلمات جميعها تنتمي إلى كلمة "رومانو Romano" المشتقة من كلمة"روما Roma" عاصمة إيطاليا في ظل الإمبراطورية [1].

ب)اصطلاحا:

لقد ولدت الرومانسية في مناخات جديدة في الوسط الأدبي والاجتماعي، لأنها انطلقت في الأصل من نفوس جائشة بالرفض والتمرد راغبة في التجديد، طامحة إلى تجسيد ما تعانيه، ومعظم التعريفات التي طرحت ظهرت في مرحلة لم الرومانسية قد نضجت بعد وأوضحت أدبا متكاملا، ومن المدهش أن يكون البعض قد وجد للرومانسية أكثر من مائة وخمسين تعريفا، جمعها الناقد الألماني شليجل"chlijal" بمائة وخمس وعشرين صفحة، دون أن ينتهي إلى تعريف نهائي، حتى قيل :"إن الرومانسية تتخذ من الأشكال بقدر ما فيها من مؤلفين ([2])وفي رأي أحدهم "إننا نحس الرومانسية ولا نستطيع تعريفها" كما يقول أديب فرنسي آخر: "إنها حكمة يقولها جميعا في فرنسا، ولعلنا لا نجد اثنين يقصدان الفكرة نفسها بالضبط" أما "مورو" فيري أنه" لن نجد تعريفا لما كانت طبيعة من طبيعة الأسرار الخفية "وعبر"يول فاليري" "Pool valirié" عن استخفافه بمن يحاولون تعريف هذه المدرسة قائلا: لابد أن يكون المرء غير متزن العقل، إذا حاول تعريف الرومانسية [3].

عرفها الناقد الألماني "شيلينغ"Chilinghe" قائلا: إنها الفن الذي يكشف في صور، وبواسطة الحدس الفني، الأفكار المطلقة الكامنة في أساس الواقع، والقادر بشكل أعمق، من العقل الإنساني المحدود، على اكتشاف ومعرفة العالم المحيط بنا [4].

فالرومانسية هي حالة مقيمة في النفس، وهي تعبر عن موقفها من ذاتها ومن الحياة، ومن الطبيعة ومن الزمن ومن الحرية، فهي فيزيقية وميتافيزيقية في آن معا [1].

---

[1] حسان ــد-عبد الحكيم مذاهب الأدب في أوروبا، دار المعارف بمصر ط2 سنة 1979 ص 77 .
1تيغم بول فان:الرومانسية في الادب الاوروبي ،ص،177
[3] المرجع نفسه ص 21
[4] الأيوبي ياسين : مذاهب الأدب معالم وانعكاسات :الكلاسيكية ، الرومانتيكية ، الواقعية دار العلم بيروت، لبنان ، ط2 سنة 1984 ص 192 .

"آميل ديشان Deschamps" (1791-1871م) أحد الشعراء الرومانسيين الأول، ثم ناقد ومنظر للأدب الرومانسي، كتب يعرف الرومانسية بأنها: ليست في كل العصور الأدبية إلا الشيء الجديد، تصوير المجتمع الجديد، ثم يضيف إلى ذلك قوله: "إنها الروح الشاعرية في مقابل الروح النثرية [2].

أما" فيكتور هيجوviktour higou" عام 1830م، في مقدمة مسرحية "هرتاني" فقد عرف الرومانسية بكلمتين:إنها "ليبرالية الأدب ويقول أيضا أليس هي حرية الإلهام وإخاء الفنون ومساواة الأجناس الأدبية، بل مزجها بعضها بعض [3] .

وعرفها الشاعر "سوميه Soumet" بأنها الأدب الذي تغلغل عمقا في أسرار قلوبنا، من خلال عبقرية الانفعالات التي يمتلكها الأدباء.

ثم عرفها الناقد الألماني "أ.و.شليجلchlujal" (1767-1845) بأنها هي وحدة المتناقضات كما يفيد بذلك قوله التالي: "الذهنية الرومانسية معجبة باستمرار بتقريب المتناقضات: الفن والطبيعة، الشعر والنثر، الجد والهزل، الذكرى والهاجس، الأفكار المجردة والمشاعر الحارة، الإلهي والأرضي، الحياة والموت، تتجمع كلها وتنصهر في بوتقة الأدب الرومانسي [4].

ومن أحسن التعريفات العامة التي تطلق على الأدب الرومانسي ما أوضحه الروائي (ستندال Stendal) في كتابه التقدي "بين شكسبير وراسين : الرومانسية هي فن تقديم الأعمال الأدبية إلى الجمهور الذي يتقبلها بالسرور الممكن، انطلاقا من تقاليده ومعتقداته الحاضرة....و للحق نقول، كل الكتاب الكبار كانوا رومانسيين في زمانهم، وما يجعل الناس

---

[1] قريرة زرقون نصر : الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث بالمغرب دار الكتب الوطنية ط1 ، 1992 ص 42 .

[2] تيغم بول فان، "الرومانسية في الأدب الأوربي " ترجمة صياح الهجيم وزارة الإرشاد القومي سنة 1981 ص 179 .

[3] المرجع السابق ص 179.

[4] المرجع السابق ص 180.

كلاسيكيين هو أنهم، بعد مائة سنة بدلا من تقليد الطبيعة، يغلقون أعينهم، ويقلدون آثار الكتاب الذين سبقوهم".

أما الدكتور محمد غنيمي هلال، فقد شرح الإطار العام للأدب الرومانسي، قائلا:" إن الأدب الرومانسي صورة صادقة للاتجاهات الثورية الوطنية، وقد عبر عن آمال ذلك المجتمع، في أدب فيه الحميا الفنية والثورة الفكرية والضيق بالواسع، ونشدان السعادة في عالم الأحزان وللرومانسية روح عامة، تسيطر على الكاتب الرومانسي وآرائه.

ويمكن القول أن (فيكتور هيجو Victor hugo) هو أكثر الذين توصلوا إلى تحديد مفهوم الأدب الرومانسي ربما لأنه أطولهم عمرا وأغزرهم مادة، كما توصل إلى التوسع، لأن الحّب قلب الأدب الرومانسي، كما أن الكلام فيه شيء لا يملك القلم بين التقنين والتقيد[1].

رغم صعوبة إيجاد تعريف وافٍ للرومانسية، إلا أن هناك من استطاع أن يعطي مقصودًا عامًا لهذا المصطلح، وأصبحت عني التعبير عن العواطف وتجاهل العقل وحب الطبيعة والتعبير عن المرأة، لأن الرومانسي هو الذي يعبر عن أحلام وأمال وألام الاخرين

2) ظهور المذهب ونشأته :

ليس من السهل معرفة البدايات الحقيقية للحركات الرومانسية بالمنظار الزمني، لا يمكننا أن نصل إلى نقطة معينة، لأنه إذا توغلنا في التاريخ ظلت بنا القدم، والسبب في ذلك هو أن الرومانسية خليط من مشاعر فردية وتطلعات مثالية، اتخذت لها جذور وينابيع عند أفلاطون أبو الفلسفة المثالية في تاريخ الفكر البشري، والبحث عن أصول الرومانسية، يتتبع بحثا عن جذور العاطفة، الإنسانية والمثل الإنسانية، وعلى ذلك اعتبار أفلاطون إحدى محطات الأصل لهذا المذهب، هكذا حتى نصل إلى مشارف القرن الثامن عشر (18) وعاشت نحو قرن من الزمن، وقد جاءت على إثر الانقلاب في حياة أوروبا الفلسفية والاجتماعية

[1] هلال محمد غنيمي : الرومانتيكية، دار العودة بيروت ط1 سنة 1973 ص 8 .

السياسية، فانتقلت الحياة الاجتماعية من عصر الأرستقراطية والإقطاع إلى عصر الطبقة الوسطى [1].

ومن بين هذه العوامل نجد :

الثورة الفرنسية سنة 1789م، التي تعتبر أحد العوامل الكبرى التي كانت باعثا ونتيجة في آن واحد، للفكر الرومانسي المتحرر والمتمرد على أوضاع كثيرة، من بينها الإقطاع السياسي والديني والاجتماعي، المتمثل بسيطرة النبلاء ورجال الدين على تقاليد المجتمع وثرواته.وهو الذي أفرز الأدب الأرستقراطي المعروف بالأدب الكلاسيكي، فكانت ردة الفعل على ذلك كله قوية وعاصفة، بمقدار ما تشبع العصر بالأفكار التحررية، واغتذت نفوس الأجيال الطالعة طعم الحياة الجديدة [2].

وليس غريبا أن تبدأ جذور الرومانسية في ألمانيا وإنجلترا قبل أن تصل إلى فرنسا، إذ أن فرنسا اعتبرت نفسها الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية في عصر النهضة، وهو ذلك العصر الذي شهد ظهور فرنسا الحديثة بشكل واضح وحاسم، وهو الذي مهد لظهورها بوصفها قوة مؤثرة في كل أوروبا، وهو الذي أعطاها الدور القيادي الذي اضطلعت به، في عصر انتصار القواعد .

أما من الناحية الأدبية، فكان من البديهي أن تتخذ الحركة الرومانسية من الأدب الكلاسيكي ذاته منطقها الأدبي فيسعى الأدباء في مرحلة ما قبل الرومانسية " Le préromantisme" أن يشقوا لأنفسهم طرقا جانبية يؤكدون فيها على تطلعاتهم الجديدة والتعبير عن ذواتهم، ضمن التيار الأدبي الكلاسيكي العام [3].

[1] عيان أحمد : المذاهب الأدبية النقدية الحديثة ومميزاتها العامة، جريدة المنطلق الإتحاد الابنان للطلبة المسلمين لبنان العدد 78-79 سنة 1991 ص 175 .
[2] الأيوبي ياسين: مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ص 121 .
[3] الأيوبي ياسين : مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ص 121 .

ومن أهم ملامح هذه المرحلة المبتدئة الميول الغامضة، ذات الاتجاه العاطفي واللاستقراري الذي تطور إلى نوع من تأكيد النزعة العاطفية التي ترجمت إلى أعمال أدبية تميزت بذوق أدبي جديد، لكنه لم يخرج عن الإطار الأدبي المتتبع، ذلك لأن المناخ الجديد الذي أشاعه أدباء هذه المرحلة هو مناخ شعوري عاطفي [1].

وفي مقدمة هؤلاء الرواد جان جاك روسو"j-j –Rosso" (1712-1778م) الذي أسهم بصورة لا يضاهيه فيها احد في نشر الوعي الاجتماعي سياسيا، وتربويا، وترجمته إلى سلوك إنساني جديد اتخذ من الأدب طريقه الصواب.

لقد أثر روسوRossou "تأثيرا قويا في عصره، فأوجد لغة نابضة بالحياة والبساطة والصدق والعفوية، وذلك إيمانه المطلق بالله وبالطبيعة مصدر الخير والجمال في الوجود، فكان لنا من نتاجه أدب غنائي ذاتي ينطوي على كثير من الإصلاح والتطهير.

وتعتبر رواية "روسوRosso"(هيلوييز الجديدة La nouvelle Hiloire) عملا أدبيا هاما في نشأة الرومانسية وتحديد هويتها المذهبية، وبعثت في الحياة الأدبية نمطا من الكلام لم يعرف طريقا إلى النور إلا مع روسو [2].

وتقوم فلسفة "Rossoروسو" على أساس أن الإنسان الفطري كان سعيدًا في حياته البدائية لا يحمل لغيره إلا الحبّ، ولكن حينما تعقد المجتمع وتشابكت فيه المصالح أحس الإنسان بالأنانية، ونشأت فيه طبيعة التملك والحرص الشديد على ما في يده واندفاع للحصول على أكثر من حاجته، وفسر روسو بذلك الفساد الاجتماعي المتفشي في عصره، ودعا إلى الثورة على هذا المجتمع وقوانينه الجائرة، وإطلاق الحرية للفرد، والمساواة بين

[1] المرجع السابق ص 122 .
[2] شلبي عبد العاطي : فنون الأدب الحديث دار الطبع والنشر، الطبعة 1 ، 2005 ص 07 .

طبقاته، يقول في ذلك:"أن الإنسان يولد حرا، ويكبل في كل مكان بالسلاسل ,وإن الإنسان خير بطبعه ولكن الشرائع والتقاليد والعادات التي وضعها المجتمع هي التي أفسدته [1].

وقد شارك روسو في ذلك مجموعة من معاصريه من ذلك (ديدرو didro 1713-1484) و (فولتير volterez 1694-1778) هذا الأخير وإن ظل على تأثير وتقدير للأدب الكلاسيكي ولا المسرحي فقد دعا إلى التمرد على سلطة رجال الدين كما دعا إلى الحرية المساواة والاعتداد بالطبقة الوسطى ومن مساهمات فولتير أيضا تعريف الفرنسيين وتنبيههم إلى أدب شكسبير وعبقريته الفذة التي لم تخضع للتقاليد الكلاسيكية [2].

بالإضافة إلى ما قدمه روسو ومعاصريه الفرنسيون، فهناك أعمال أدبية أخرى قام بها أدباء إنجليز وألمان نذكر منهم (توماس كرايthomas gray) الشاعر الرومانسي الإنجليزي صاحب ديوان "مرثية مكتوبة في مقبرة بريه كذلك الشاعر الانجليزي "وليم بلاياك Willem braya" (1975م-1827م) الذي يعتبر أول صوت رومانسي في إنجلترا على الرغم من الصبغة الصوفية والرمزية التي تميزها ومن الشعراء الألمان cillerشيللر"و " borjar بورجر "وgota غوتة" في المسرحيات الشعرية التي تركها (فريدريك شيللر (1759-1805م) التي اعتبرت توفيقا بين المسرح الكلاسيكي والرومانسي وبخاصة مسرح "chikcepirشكسبير" لكنها، مع ذلك ظلت أحد الروافد الهامة للشعراء الرومانسيين فيما بعد[3] .

وإضافة إلى ذلك عامل آخر هو التيار الفلسفي الذي مهد للحساسية والشعور، ومن المسائل التي شغلت الفنانين والفلاسفة مسألة الجمال الذي يعتبر انعكاس الحقيقة والجمال هو في كل العصور، وفي كل الأقطار شأنه في ذلك شأن الطبيعة، ولكن المسألة أصبحت معقدة عند المفكرين الذين أثروا ببحوثهم في الرومانتيكية، إذ المراد المجمل عندهم إلى الذوق الفردي، وخلق الفنان للجمال يتتبع القريحة أو العبقرية، فبعد أن كان الجمال

[1] شلبي عبد العاطي : فنون الأدب الحديث ص 08 .
[2] عبد الرحمن عثمان : معالم النقد الأدبي، دار المعارف بمصر سنة 1967 ص 190 .
[3] بن عيسى بلاطة الرومنطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث ص 28-29 .

موضوعا أصبح ذاتيا، وبعدما كان مطلقا نسبيا أصبح تطبيقيا لقواعد تجريبية صار مرده إلى تقاليد تجريبية خاصة أساسها الحساسية النفسية التي هي منبع ما فينا من مشاعر وعواطفه هي التي تجعلنا نبحث عن الشيء الجميل ونشعر بها [1].

بالإضافة إلى هذه العوامل، اكتشاف شكسبير في أوروبا، بعدما ظل مجهولا ما يزيد عن مائة عام بعد موته، ويعود الفضل في ذلك إلى الفرنسي "فولتير" الذي أعجب بمسرحياته، وبما فيها من تحليل دقيق للنفس البشرية، كما أعجب بحريته الفنية، وبعدم تقيده بنظام الوحدات الثلاث، الحبيب إلى القلوب الكلاسيكيين، وبالإضافة إلى ذلك إن"شكسبير" يعرض على المسرح صور الحرب والقتل والدماء، وهذا ما يرفضه الكلاسيكيون، لأنها تسيء إلى مشاعر المشاهدين، كما يزعمون [2].

وفضل الجيل الجديد مسرحيات شكسبير على مسرحيات الكلاسيكيين لأن هذه الأخيرة صورة مقلدة عن مسرحيات الإغريق ولأن الشاعر الإنجليزي بدَا عبقريا في تصوير الألم والشفقة، وفي تحليل العواطف الإنسانية المحصورة بين الحرية الموهوبة والنهايات المحتومة، وفي هذه المصائب لا يتعارض الخير والشر ولكن يتكلمان ولا يشغل الإنسان فيها مركز العالم، ولكنه ظل ضحّية من ضحاياه [3].

وهكذا انتقلت الرومانسية شأن الكلاسيكية من بلد لآخر في أوربا، واتخذت خصائص مميزة.

في كل منها وخاصة فرنسا وإنجلترا وألمانيا، بالرغم من العوامل السياسية والأدبية والاجتماعية، التي ساعدت على ظهورها، إلا أن هناك عامل مُهم تمثل في المذهب الكلاسيكي، حيث ضاق الأدباء من القيود والقوانين التي كان يفرضها هذا المذهب.

3)أعلام الرومانسية :

[1] المرجع السابق ص 30 .
[2] أنطونيوس بطرس : الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، طبعة أولى سنة 2013 ص 272/271 .
[3] شلبي عبد العاطي : فنون الأدب الحديث ص 09 .

رأينـا أن الرومانسـية قامـت علـى أنقـاض الكلاسـيكية، التـي تـداعت مـن الـداخل لأن التغيرات في ذلك العصر، كانت أقوى من تمسك المحافظين بالمذهب الاتباعي والالتماعات الرومانسية، التي كانا نقع عليها مبعثرة هنا وهنـاك، بدت تتجمع طلائعها فـي سماء الأدب، وتبشر بولادة نوع جديد، كان لابد من ظهور بـواكير تحمل خصـائص البـذور التـي أطلعتها وتحدد، ولو بغموض، الخطوط العامة، أو الشكل الذي ينبغي أن تكون عليه

وقد مهد لذلك جماعة من الشعراء نذكر من بينهم :

*** ألفونس دي لامارتين(ALPHONSE de Lamartine)** يعتبر ديوانـه "التـأملات" الذي صدر في أربع طبعات، طول ست وثلاثين سنة من أهم الكتب، حتى ذلك التـاريخ التـي تجسد الروح الرومانسية، والتي وضعت حدًا لصالح الحركة الجديدة، وأبرز ما يميز قصـائد هذا الديوان البساطة، والصدق، والوجدانية الشفافة، والروح الدينيـة، والخيـال المبـدع المفعم بـالظلال والألـوان والحـب الكبيـر، والكآبـة الغامضـة، واللغـة البسيطة السـهلة البعيـدة عـن الضعة والتعقيد، لأن صاحبها كان يغمس ريشته بمداد قلبه ويَكتب، فينقل ارتعاشـه الـروح، وقلق الضمير، والخوف من تساقط أوراق العمر، وهمس شكوى الحب على الشاطئ، وأنـين القلـوب التواقـة إلـى ارتـواء مسـتحيل، وتشـبه كتابـة "لامـارتين" البـوح الخجـول الصـادق، ولاسيما مـا يتعلـق بموضـوع الحـب، والشـكوى مـن غـدر الـزمن والنـاس وانصـرام الوقـت، وتبـدو الـنفس فـي شـعره مثقلـة بـالحزن والعذاب ، والطبيعـة علـى جمالهـا، صـورة عـن تلـك الـنفس، التـي تربطهـا بهـا وشـائج مـن القرابـة الروحيـة التـي لا تنفصـم عراهـا، وقـد ترجمـت معظم مؤلفات "لامارتين" إلى لغات عديدة، ومنها العربية وتعتبر قصيدة البحيرة، من أبـرز القصائد التي تجسد النزعة الرومانسية عنده، إلى جانب "الخريف" و"المصلوب"و"الوحدة[1].

[1] بطرس انطونيوس الأدب تعريفه أنواعه ومذاهبه ص 279-280 .

*** فكتورهوغو 1885-1802 victor Hugo** : لقد وضع نصب عينه، منذ صغره أن يصبح أديبا مشهور مثل "chateaubriandشاتوبريان"، واستطاع أن يحقق هذا الحلم الذي راوده طويلا، وظهرت عبقريته في الشعر والنثر والعمل السياسي [1].

***(ألفرددوفيني 1863-1797 A.De.vigny)**

كرس وقته للأدب، وكان صيته قد ذاع مؤلفاته التي أقبل عليها الناس ومنها : "قصائد قديمة وحديثة "و"الخامس من آذار"و"الأقدار" وكان لأحداث حياته تأثير كبير في نتاجه الأدبي والفكري، من ذلك موت والدته، وشجاره مع أعضاء المنتدى الأدبي، وفصم علاقته بالفنانة التي أحبها، وكتب لها "شاتوبريال" وكان اسمها "ماري دور فال" مد ذاك، وانطوى على ذاته بمرارة، وراح ينعزل شيئا فشيئا عن العالم، فكتب أجمل قصائده: "موت الذئب" و"غضب شمشون"و"جبل الزيتون" وسواها [2].

***(ألفريد دي موسيه A.demusset)**

كانت رومانسية "demussetموسيه" أصيلة، فدعا الشعراء إلى الالتزام بالعمل الأدبي، والابتعاد عن السياسة، لأنها تشوهه، وأما عن دور العقل، فإنه لم يتعرف به، إذ نجده يقول: "إن كل ما يحتاج إليه الشاعر هو الانفعال، وعندما يخفق قلبي، وأنا أكتب، يزداد يقيني بأن البيت الذي أنظمه هو الأفضل " والغنائية عنده وليدة انفعال الوجدان:" اقرع قلبك سرّ العبقرية" ولهذا امتاز شعره بالصراحة والصدق، فحمل الألفاظ دفقًا من العواطف: "وعندما تكتب اليد، يذوب القلب في الكلمات" ولعل"موسيه" كان من الشعراء القلائل الذين أتى نتاجهم الأدبي بمعظمه، صدى لتجارب حياتهم، أو متأثرا بها، فالعذاب والألم والحرمان، والشكوى، والتذمرْ من غدر الزمان، والحنين إلى الماضي، والتضحية في الحب تطالعنا جميعها في كتاباته[3]

[1] المرجع السابق ص 281 .
[2] هلال محمد غنيمي: "الأدب المقارن ص 57 .
[3] المرجع السابق ص 58 .

ثـم اتسـع نطـاق الرومانسـية الإنجليزيـة متجسـدا فـي آثـار الشـاعرين " wordzourt وردزورث" (وكلوريدج Coleridge)و(توماس كراي thomas)و(ويليم بليكW.blake) فـي ألمانيـا جـون كيـتس (John Keats)والفيلسـوف (تشـلير Tcheler)و(غوتـه Goethe) وشكسبير في إنجلترا [1]

4)خصائص الرومانسية :

طغـت الرومانسـية فـي مقـاييس ومعـايير عـاش عليهـا الإنسـان أكثـر مـن عشـرين قرنـا وعندما تحطم العمود الكلاسيكي ظهرت نتائج بعيدة المدى، أبرزها أن الرومانسيين صـاروا ينظرون إلى الأدب على أنه إنتاج الفرد وعبقريته لا على أنه قوالب تقليدية .

ومن الخصائص التي دعت إليها نذكر:

1) **الـدّفق العـاطفي والتـهـويم:** فرضـت الكلاسـيكية قواعدها الصـارمة علـى الأدب فتـرة طويلة من الـزمن، فكتبـت العواطـف الفرديـة، حتـى ضـاق النـاس ذرعـا بهـا، وبـاتو يتحينـون الفـرص لتفجير مشـاعرهم وأحاسيسـهم، وكـادت تضـيع شخصـية الفـرد الأدبيـة وهويتـه، فـي خضـم الحـديث عـن شخصـيات غريبـة عنـه، اصـلا ومكانـة، وسـلوكا، وجـاءت الرومانسـية فألغت قوانين العقل الصـارمة، وأطلقت العنان للقلب، باعتباره مركز الأحاسيس والعواطـف، عملًا بقول المفكر "باسكال" "pascal" "للقلب شجون لا يفهمها العقل".[1]

[1] شلبي عبد العاطي: "فنون الأدب الحديث" ص 8-9 .

ولكن الرومانسيين أسرفوا في الإنثيال العاطفي، فتجول أدبهم إلى ما يشبه التهويم، واصطبغ بالحزن والكآبة، حتى دعي "مرض العصر" واغرموا بالموضوعات الوجدانية، لأن مجال العواطف واسع فيها، فحملوها أكثر مما تتحمل من الأحاسيس، كالفقر، والحياة في الريف، وفراق الحبيب، ووصف الطبيعة، وغالبا ما كانوا يسقطون ذواتهم على الموضوعات التي يعالجونها، فيتماهون فيها، وأحبوا العذاب والألم، واعتبروهما مهمازا لعبقرية، لأنهما يطبعان الأدب بالصدق، يقول "موسيه": "اعلموا أن القلب هو الذي يتكلم ويتنهد، ويذوب، حين تكتب اليد" "اقرع القلب فهناك العبقرية" [1].

2) **العبقرية:** في نظر الرومانسيين، تولد مع الإنسان وهي من مصدر إلهيّ، ولها حقوق مقدسة، لا يجوز أن ينازعهم فيها أحد، لأنها حكر علهم من دون سواهم، وهذا ما قادهم إلى الكبرياء، وأوجد فجوة بينهم وبين مواطنهم.

3) **الإبداع في الشعر** : الشعر الرومانسي انبثق من ذات الشاعر، ومن تجربته الذاتية، ومن معاناته، فكان أكثر صدقا وتعبيرا، ومن هنا صفاؤه وشفافيته، لون الرومانسي الطبيعة بألوان عواطفه وميوله، ونظرا إليها من خلل نفسه، فبدت زاهية ضاحكة في فرحه، وكئيبة في حزنه، مفعمة بالمشاعر، متغيرة بتغير أحواله وأحاسيسه، ذات أبعاد إنسانية، ووظف الخيال الخلاق في خدمة اللفظة المعبرة والموحية، ثم أطلق له العنان، فجمع الظلال والألوان، وابتدع الصورة النفسية، التي بدونها لا يكون خلق شعري، اجتمعت له بلاغة في التعيير يرفدها وجدان ولغة سليمة، وخيال مبدع في رصد الألوان، وإيمان راسخ بالوحي في نظم الشعر [2].

4) **التعبير الحر** : فضل الرومانسي المضمون الإنساني على التعابير الفخمة، وكل همه أن يلامس وجدان القارئ لا عقله، بدون إهمال اللغة، بل على العكس فإن لغته متينة، يرفها خيال مبدع، وعاطفة ملتهبة وجياشة، وصور تكتنفها غلالة ضبابية من الرؤى، فلغة العقل تختلف عن لغة القلب، فالأولى جافة، والثانية حية يلونها الحلم والخيال، وتحركها العاطفة،

[1] هلال محمد غنيمي: "الرومانتيكية" ص 56.
[2] بطرس أنطونيوس ص 313-314.

والمعروف أن الإبداع، في أي فن من الفنون، بحاجة إلى مناخ من الحرية في التفكير وفي التعبير، وهذا ما نعم به الرومانسيون، فجاء أدبهم متنوعا، يتجلى فيه الجمال والإبداع[1]

4)موضوعات الرومانسية:

إذا أردنا المعنى الشمولي، فإن الرومانسية لم تقف عند موضوع واحد، أو مواضيع محددة، بل شملت مختلف المواضيع الإنسانية التي ينفذ إليها الأديب بإحدى ملكاته الشعورية، وخاصة إذا تمثلنا بشاعر الرومانسية الكبير "فيكتور هيجو" الذي أثبت أن قدرة الشعر الرومانسي تشترط توافر المخيلة وموهبة التعبير التي ترفعه إلى مصاف الفن

أما إذا أردنا الحصر والدقة، فإن الرومانسية لا تحسن معالجة أي موضوع، إلا إذا كان منصهرا بوجدان الأديب ولذا فإن موضوعاتها لا تخرج عن العناوين التالية :

1) الطبيعية :

أهم الموضوعات التي تحدث عنها الرومانسيون، لجأوا إليها على أنها الملاذ الأكبر لمعاناتهم، في حياتهم الخاصة والعامة، والطبيعة مهد كل أدب سواء كانت المدرسة الأدبية التي تعبر عنه كلاسيكية أم رومانسية أم سريالية، ولا تختلف إلا في المذهب التعبيري، إن الطبيعة لم تكن مشرقة فاعلة مؤثرة، كما كانت في المدرسة الرومانسية، لأن الرومانسيين هم الذين عرفوا قيمتها ومتعتها، فنشروها في كل مكان [2].

ولما دعا جان جاك روسو إلى العودة إلى الطبيعة وتتبع نظامها واستحياء مبادئ الحياة والتربية منها، كان عمله بمثابة كشف جمالي وأدبي وفلسفي جديد، كما ورد في كتابه الشهير"آميل" أن الإنسان يولد نقيا طاهرا من كل الشرور والمفاسد، والمجتمع الإنساني هو

---

[1] المرجع السابق ص 314 .

[2] الأيوبي ياسين :"مذاهب الأدب معالم وانعكاسات " ص 171-172.

الذي يفسده ويعوده على الرذائل والخطايا"، ومن أجل ذلك دعا روسو الإنسان على الإقامة في أحضان الطبيعة والتربي في تعاليمها حتى بلوغهْ مرحلة النضج[1].

وقد تأثرت الرومانسية بمفاهيم "Rossoروسو" وثارت على منهج الكلاسيكيين ومن سبقهم متواصلة، مع "شاتوبريان" إلى مفاهيم أكثر عمقا وألصقا بنزعة التحرر والإيمان التي سادت الحركة الرومانسية منذ مطالعها وفيها يدعو" chateaubriandشاتوبريان"، إلى تخليص الطبيعة من هذه الآلهة، وجعلها معبدا واحدا يدخل إليها الفنان [2].

واستمرت هذه النظرة الحالة البريئة إلى الطبيعة، وغدت مستراح الشعراء، وملجأ تأملاتهم و تعبد اتهم في كثير من الأحيان، فنرى"فيكتور هيجو" يتحدث إلى الطبيعة ويناجي الخالق مناجاة العابد المسكين الضارع:"....الآن وقد رق إحساسي بهذه المناظر الإلهية: من السهول والغابات والصخور والأودية والنهر الفض، أرى صغري أمام عجائبك

ويثوب عقلي أمام رحيب ملكوتك، ألوذ بك يا إلا هي، يا من إياه أعبد، حاملا إليك من خشوع بقايا قلب مليء بعظمتك قد حطمته[3].

ولا نكاد نقرأ قصيدة واحدة لأي شاعر رومانسي، إلا وللطبيعة فيها النصيب الأوفر، وخاصة إذا مزجنا الطبيعيتين: الجغرافية والإنسانية في بقعة واحدة، ومن هنا الوصف الذاتي للطبيعة وانطراح الأحزان والأشواق والعواطف الداخلية، ولشد ما كان الرومانسيون يقيمون المفارقات الشاسعة بين طبيعة الحقول والبراري والغابات والأودية، وهي التي تكتنفها الشوارع والأزقة والمباني الشاهقة، فتضيق صدورهم وتضطرب قلوبهم، ويستلهمون ذواتهم في الهرب والسفر الروحي خارج مجتمعهم، ليوحدوا ذواتهم الفردية، مع الذات الإلهية الكبرى راشفين الهناء الأعظم والنشوة الغامرة [4].

---

[1] المرجع السابق ص 172.
[2] المرجع السابق ص 172.
[3] هلال محمد غنيمي: " الرومانتيكية" ص 179.
[4] الأيوبي ياسين "مذاهب الأدب معالم وانعكاسات" ص 174.

ولعل ما كتبه " lamartunلامارتين" عن الطبيعة، بعد أول لقاء له بمحبوبته" jolyaجوليا" أجمل ما قيل ويكاد لا يدانيه قول آخر: "إن الطبيعة أكبر قسوة الله وأمهر مصوريه، وأقدر شعرائه، وأبرع مغنيه، وإنك لتجد في عش العصفور تتناغى فيه أفراخه تحت رفرف الهيكل الدارس وفي أنفاس الرياح، تهب من البحر حاملة إلى أديرة الجبل المقفرة خفق الشعر وأنين الأمواج وغناء الصيادين، وفي الزهور ينتشر أرجها في الفضاء، وينتثر ورقها على القبور، وفي صدى أقدام الزائرين تقع على مضاجع الموتى من هذا الدير، منه وهو في إبّان عهده وعنفوان مجده "[1].

ومهما تحدثنا عن طبيعة الرومانسيين، لن نصل إلى حد، لأنها هي الأخرى بلا حدود، حتى إذا ما تحددت في الإطار الجغرافي، استعصت على التحدد في الإطار النفسي، ذلك أن وصف الرومانسيين للطبيعة، غالبا ما ينطلق من بحار نفوسهم ونتوءات تضاريسها المتعرجة والمتداخلة في حنايا الضمير والحياة النفسية اللامنظورة، وما أمواج البحر، والأديرة الصامتة، والعواطف الهوجاء والأمواج المزبدة والقصور المهجورة التي أضحت أطلالا، والفصول وتعاقب الليل والنهار وغيرهما سوى أوجه ومرايا، تنعكس عليها قسمات النفس الإنسانية وتحولاتها على مدى الساعات والأيام، لا فرق بين الليل والنهار

من هنا "مرض العصر والكآبة المهيمنة، لأنهم مشغوفون بما يحتضنهم وببلسم حزنهم الغامض وشكواهم العامة، فهم يؤثرون المساء بين ساعات النهار، والخريف بين الفصول، ويعنون بالليل السحري، والشعري والقمر والنجوم، وحتى الذين ليس بهم كآبة خاصة، يخلدون إلى الأحلام اليقظة المبهمة القائمة على عدم الرضا والأسف، والمطامع المشوشة[2].

لم تكن الطبيعة متشابهة القسمات عند جميع الرومانسيين، غير أنها موجودة بعناصرها وجغرافيتها في أدبهم، وكل واحد منهم فهمها على طريقته، وبحسب ظروف حياته، وفي حين نجدها زاهية بألوانها ومناظرها الحلوة المتنوعة، عند "Rossoروسو و"

---

[1] بطرس أنطونيوس:" الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان ، طبعة أولى سنة 2013 ص 296 .

[2] تيغم بول فان :" الرومانسية في الأدبي الأوروبي " ص 20-21 .

chatobrianشـــاتوبريان" مـــثلا، فإنهـــا تبـــدو كئيبـــة عنـــد "lamartinلامـــارتين وmossutموسـيه" وعلـى كـل حـال فـإن، هـؤلاء الجماعـة لـم يغفلـوا زقزقـة عصـفور، أو صرير جندب، أو حفيف ورق في الخريف، أو صوت جرس يتردد من دير قديم، أو خرير الماء في ساقية أو منبع، كما أنهم اهتموا بالأماكن الدارسة والخرائب، والدروب المنسية في الغابات، والنباتات والأعشاب، حتى ليعتبر أدبهم في بعض جوانبه، أدب الطبيعة [1].

2- الحــب:

إن القواد الكلاسيكية الصـارمة التـي رفضـت الحـب فـي كـل الأعمـال الأدبيـة، ونظمـت حركته إلى حد امتنع فيه الشاعر الكلاسيكي عن تصوير أحاسيسه وأشواقه وانفعالاته، كل ذلك ضاعف من قوة ردة الفعل وتأثيرها على نفوس الشبان الذين تخرجوا من مدارسهم على نمط معين من التعبير عن هذه العاطفة القويـة، ومنحـتهم شغفا شديدا بقراءة أدب جديد ينفض عن أذهانهم غبار الزمن القديم الذي ملأ وجودهم وإحساسهم بقصص الأبطـال لا أثر لهم فـي وجودهم ولا فـي تـاريخ أوطـانهم، فكانـت الأشعار والروايـات التـي نشرها الـرواد الكبار للرومنطيقية، وما تبعها من أعمال أخـرى، أكثر غنـى وتمثيلا لـواقعهم، وعـاملا قويـا من عوامل الانسياق خلف هذا الأدب الجديد، لاشيء أنهم رأوا فيـه صـورة صـادقة لحيـاتهم، وخوارجهم المصطرعة بين ظهرانيهم [2].

لا قيمة للحياة من دون حب ومـن أجلـه خلـق الله الإنسـان وبحسـب "فيكتـور هوجـو" "فـإن الإنســان الــذي لا يحــب أدنــى مرتبــة مــن ذاك الــذي لا يفكــر "وكــل شــيء يصــرف فعــل أحب"،و"كم يكون الحب ساميا، أو يستطيع المرء أن يموت حب وبات الحب أنشودة الحياة، كما في قصيدة "Hugoهوجو" :

فلنحب دائما ! فلنحب أيضا !.

حتى يذهب الحبّ، يهرب الأمل.

---

[1] بطرس أنطونيوس: "الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص 297-298.

[2] تيغم بول فان: "الرومانسية في الأدب الأوروبي" ص 20-21.

الحب هو صيحة الفجر.

الحب هو ترتيلة الليل.

إن ما تقوله الموجة للشطآن

والريح للجبال القديمة

والنجوم للغيوم

هو الكلمة التي لا توصف: فلنحب ! [1]

لم يكن ممكن اختصار القصيدة، لأنها دفعات من المشاعر والصور التي تؤكد أبرز مواصفات الحب الرومانسي، القائم على طهارة القلب وتسامي الروح فوق الشهوة الحسِية والنزوات الطائشة .

كما يقوم على دفق المشاعر وانسيابها أمواجا من الحلم أو الأثير الليلي، ومن عظمة الحب الرومانسي أنه لا يكتفي فيه الكلام ولا بالنظر، ولا بأية وسيلة من وسائل التعبير، لذلك كان"لامارتين" يعبر عن مثل هذه الحلة بقوله: نتخاطب بالنظرات فلا تكفي، ونتلمس الكلمات فلا نجد، لقد انعقدت ألسنتنا من فرط السرور، واضطربت أعصابنا من شدة التأثر، فبقينا صامتين: لا لغة إلا هذا الصمت، ولا حركة إلا هذا السكون [2].

لقد فهم الرومانسيون الحب، أنه شعور سماوي أخوي يعتمد على صفاء الروح وطهر المشاعر، يتخذ تارة حالة من الشرود، وحالة من اللاوعي، وثالثة يتخذ لغة مفهومة لأن أصحابها هم أيضا عاجزون عن ترجمتها، وقد اتخذ لها البعض نوعا من أنواع العبادة الخالصة، تطورت فيما بعد إلى حالة صوفية خالصة، مهما يكن فإن هذه الحالة الصوفية من حب الرومانسيين، قد تجلت في أدبهم وعواطفهم، على أصدق ما يكون تجربة وتعبيرا[3].

---

[1] بطرس أنطونيوس: "الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص 298-299.
[2] الأيوبي ياسين: "مذاهب الأدب معالم وانعكاسات "ص 182.
[3] المرجع السابق ص 183 .

إن من يطالع نتاج الأدباء الرومانسيين يخرج بخلاصة، وهي أن الحب عندهم أقوى العناصر الذاتية والمشاعر العاطفية، أدرجة وصل فيها حدود العبادة والقداسة، كعبادة الله أو الطبيعة فينادي "Nogalesنوقا ليس" محبو بته "بالمعبودة "أي أنها القديسة التي تحمل إلى الربّ أمنياته" [1] .

وليس بالضرورة أن يكون الحب بين امرأة ورجل بل إنه يتخطى هذا المفهوم الضيق ليشمل حب الناس جميعا وجميع المخلوقات من جماد ونبات، وحيوان، إنه حب الأم لبنها، والوالد لابنته، والحبيب لحبيبته، والناس لبعضهم، ، يقول "hogoهوجو" أيضا:

يالحب الأم، حب لا أحد ينساه

خبز عجيب، قسمة الله وكثره

طاولة معدة دائما في البيت الأبوي

لكل فرد حصته منها، وهي بكليتها لهم جميعا

من روافد الحب، أو مستلزماته لا فرق بين الإحساس بالألم أو الغربة والحزن، وقليلا ما يعبر الرومانسيون عن فرحهم، لأن فرحهم في عمقهم، ليس إلا وجها آخر للحزن أوالنهاية فهما وجهان للحب يكملان بعضهما بعض، ومن هنا المزج التلقائي بين وجدان العاشق الرومانسي وأحاسيسه الداكنة، لشعوره الدفين بأن حبه لن يدوم من قصيدة معبرة .

"moss utلألفرد دي موسيه" هذه الأسطر :

أحب وأستطيع أن أصرخ دون مبالاة

أحب ولن يتحدث شيء عن حبي

أحب، وأنا وحدي الذي أدري [2]

---

[1] تيغم بول فان:"الرومانسية في الأدب الأوروبي" ص 34.
[2] هلال محمد غنيمي:"الرومانتيكية" ص 189.

على هذا النمط يسري التعبير عن العاطفة الملتهبة لدى الشعراء الرومانسيين، وبمثل اصطخاب الموج اهاجته عاصفة هوجاء تصطخب قلوب هؤلاء الشعراء وتزيد الشرود والخوف والاستغراق والملل الداخلي مما كتبه"mossutألفرد وموسيه" عن نفسه عشية فراقه مع خالبة قلبه(Jorg Sandجورج ساند): أحبك أكثر من حياتي ليس لألمي أثر وأنا أحب ! إن ألمي وهو يعيش مع حبي، ليس أكثر من حلم ، تعالي معي إلى نهاية العالم فإما أموت، وإما أحيا فيك.[1]

وهكذا يغدو الموت أملا في لقاء الحبيب، وخلاصا من عذاب الأرض وضوضاء الناس.

3) الحديث عن الذات :

رأينا في المدرسة الكلاسيكية، أن أحدهم ما كان يتحدث عن نفسه مباشرة، لأن الحديث عن الأنا كريه، بل كان يعني بالحديث عن الآخرين، وكأنه هو غير موجود، إلا أن الأمر مختلف في المذهب الرومانسي، لانا"الأنا" أضحت محور الكتابة، التي تحولت إلى ما يشبه البوح الصادق، ولم يعد الكاتب يخجل من الحديث عن شجونه، بل راح يعري ذاته، حتى من ورقة التين، ويظهر للملأ على حقيقته، بضعفه وقوته، ببغضه وحبه، وقد شغلته شؤونه وقضاياه ومشاعره الخاصة، ولهذا أطلق "روسو" اسم "الاعترافات" les confessions على مؤلفه، وصرخ في المقدمة عاليا: "....لقد كشفت عن طويتي، كما رأيتها بنفسك(يعني الله) وليجرؤ أحد على القول: كنت أفضل من هذا الرجل" ويضيف عن الاعترافات قائلا:"في هذا الديوان بجزئيه، حصيلة خمسة وعشرين عاما، اختمرت في ذاتي ...ومن يقرأ فيه صورة نفسه، كمن ينظر إلى المياه الحزينة الرادة في قعر بئر عميقة، ومتجمعة في قعر النفس "[2].

[1] الأيوبي ياسين : "مذاهب الأدب معالم وانعكاسات" ص 181.
[2] بطرس أنطونيوس: "الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص 303-304.

ولاشيء ألصق بالذات أكثر من الحب وقد اعتبروه مقدس فصرحوا به ووصفوا سعادتهم بلقاء الحبيب، وشكواهم وتذمرهم ، وألمهم ويأسهم من خيانته أو موته، استسلموا للتأمل وأحلام اليقظة، وللذكريات التي راحوا يستعيدونه في قصائدهم، متحسرين ياقات الصفاء والسعادة التي عرفوها في حياتهم، وتحولت أشعارهم، إلى نوع المراثي الذاتية، تنضح بالمرارة والحزن والأسى، ولهذا قيل عن الرومانسية "مرض العصر"ولا غرابة إذا تحولت مؤلفاتهم إلى ما يشبه السيرة الذاتية، لأنهم دونوا فيها أحداث أيام الطفولة، وشجون المراهقة، ومشاغل الشباب، وعلائق الحب والصداقة، ومتاعب العمل، وآرائهم في الحياة والموت والدين، وسوى ذلك، ومن يقرأ اعترافات "روسو" وتأملات "موسيه"و"لامارتين" يدرك أن الأدب الرومانسي نابع من معين الوجدان الصافي، وأن أصحابه كانوا صادقين في حبهم وبغضهم، في تعلقهم بالحياة [1].

أكد "Hugoهوغو" في مقدمة ديوان الشرقيات أن الشاعر حر في استلهام موضوعاتهم وفي اختيار مصادره، فوجه ضربة إلى الكلاسيكية التي كانت تستقي من الأقدمين، وفي مسرحية "هرناني" أحدث ثورة أدبية، وأعلن أن "الرومانسية ليست إلا الليبرالية في الأدب"، وأما دواوينه الأربعة: "أصوات الخريف"،"وأغاني الأصيل"و"الأصوات الداخلية"و"الأشعة والظلال"، فإنها تجسد الشعر الغنائي بأبهى حلله، وتدخل الشاعر أكثر من صميم النزعة الرومانسية [2].

يتضح من مقدمة ديوان "التأملات"، أن "Hugoفكتور هوغو" هو زعيم الرومانسية، بما تمثله من صدق وصراحة في الحديث عن الذات ومن ألم وكآبة وحزن، وخوف من هاجس الموت، وعيش من ذكريات الماضي، وغنائية شفافة، ولغة سهلة تحمل بيسر ولطافة زفرات النفس، وخيال مبدع، كما يقول الناقد الفرنسي" tunتين "لقد استطاع "Hugoهوغو" أن يحول انطباعاته وأحاسيسه إلى رؤى ومشاهد، وأفكاره إلى تجليات ما

[1] المرجع السابق ص 304.
[2] هلال محمد غنيمي:"الرومانتيكية" ص 284.

ورائية، وقد تمكن من أن يصهر في بوتقة نفسه الأشياء الخارجية، والأحاسيس والأفكار، ليصبح فريد ذاته في الأدب الفرنسي[1].

ويمكن القول أن "hugoهوغو" هو شاعر الغنائية بلا منازع، وترتكز غنائيته على ذكريات، وانفعالات، وأحلام غامضة، وأحاسيس، وألم يقل عن نفسه إنه صدى لأصوات الآخرين، والطبيعة والله، وإن تجربة الموت موت ابنته، والمنفى، عمقت أصالته الإنسانية، وصهرت مشاعره بأحاسيس الآخرين، فذابت غنائيته في غنائيتهم متناغمة في قصائده، ولم يبق موضوع ذو صلة بالوجدان إلا كان له نصيب في أدبه الحب، والعطف الأبوي، ولطف الأولاد، والموت، ومصير الإنسان، وحب الوطن، والحرية، وجميعها موضوعات حبيبة إلى قلوب الرومانسيين [2].

4)الخيال

يعتبر الخيال ملكة يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم من إحساسات سابقة تختزنها عقولهم، وبذلك يقوم الخيال عند الأدباء على دعوة المحسات المدركات ثم بنائها من جديد وهذا يقودنا إلى التمييز بينه وبين التفكير فالتفكير موضوعي يقوده غرض محدود هو محاولة معرفة الحقيقة، أما الخيال فذاتي يعمد إلى التفسير في الحقائق ويضيف إليها علاقات جديدة حسب تصور الأديب، لذلك يمكن القول "أن التفكير ورقية يعوق الخيال بدليل أن الأمم البدائية في أول نشأتها كانت أكثر خيالا وأساطير [3]وعليه فإن الخيال ليس تجميع آلي لصور تتنافر بطبيعتها، بل لا بد أن يراعي الأديب في نسج صوره وحقائق

3بطرس انطونيوس : الأدب تعريفه ,أنواعه, مذاهبه,ص 285

[2] بطرس أنطونيوس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص 286.

[3] داوود غطاشة حسين راضي : قضايا النقد العربي قديما وحديثا دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان طبعة أولى سنة 2000 ص 116.

الأشياء حتى لا تفقد هذه الصور تأثيرها على القارئ فعملية الخيال هي عملية واعية في المقام الأول [1]

أما "kits كيتس "فذهب إلى أن الخيال قوة قادرة على الكشف والارتياد عن طريق الخلق والحس والجمال، كما أنها قادرة على بلوغ الحقيقة القصوى[2].

أطلق الرومانسيون العنان للعاطفة، واعتنوا بالخيال ولخاصة بعد أن آمنوا بأن الروعة في الفن لا تتحقق إلا عن طريق التجربة الذاتية المستجيبة لما ترشد إليه العاطفة في معناها الإنساني الشامل، وهكذا بدأت النظرة إلى الخيال تتغير منذ أواخر القرن الثمن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وحقق الخيال انتصارا هائلا في الفلسفة الرومانسية التي كانت ثورة حقيقية شاملة على كل المفاهيم الكلاسيكية، فاتجه الرومانسي إلى أن تعتقي على خواطره من الخيال ما يحيلها من منطقة الأقطار إلى عالم الأوهام، أوهام القلب الفني بمشاعره وآماله [3].

لقد كان الخيال الرومانسي خيالا طموحا، يتطلب مثالا له أينما وجده في غير زمانه ومكانه، لا يستوحيه أولا وأخرا إلا من ذات نفسه، ولا يتاح له فهم ما تجيش به عواطفه وأماله إلا بالصورة والأخيلة التي يخفيها على الحقائق، إذ أن الأحاسيس والعواطف لا تفصح عن نفسها إلا في الصور، ولا تسبغ إلا صوره وكل كنوز المعرفة والسعادة الإنسانية مقصورة على الصور [4].

اهتم الرومانسيون بالخيال فصار عندهم وسيلة أساسية لإدراك الحقائق فجعلوه محل العقل، واحتكموا إليه وجعلوه المنفذ الوحيد للحقيقة.ونظرا لتواصل جذور الخيال في المفاهيم النقدية الرومانسية، فقد أفرد له النقاد دراسات جادة، حاولت ضبط هذا المقياس

[1] المرجع نفسه ص 117.
[2] المرجع نفسه 117.
[3] محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ص 57.
[4] محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ص 66.

الفني لإخراج قوالب وصور شعرية حية، ومن الشعراء الذين ساهموا في هذه الدراسات "كولردج" الذي لقي الخيال عنده باهتمام بالغ إذ أفرد له فصولا في كتابه "سيرة أدبية"، جعلت من فكرة الخيال جزءا من فلسفة عامة، فقد اعتبر الخيال ملكة تحقق الجو المثالي في القصيدة، وبذلك يكون قد تأثر بفلسفة "كانط" الجمالية التي ترى أن ملكة الخيال ضرورة هامة وأساسية في جميع عمليات المعرفة، فالخيال إذا يمكن العقل في حالات الشعور العادي من التمييز بين نفسه وعالم الموضوعات، أما في حالات الشعور الفلسفي، فيصبح الخيال هو القوة التي تمكن الفيلسوف من التأمل الباطني لأساس هذا التمييز والتناقض بين الذات والوضوع وبالتالي تمكنه من إزالة هذا التناقض[1].

5)الموت:

إن الفرح والحزن عند الرومنطيقية، وجهان لعملة واحدة، وعلى كل حال فإن زمن السعادة قصير، وسرعان ما يحل محله زمن العذاب والألم، والحزن، والفرح، والعذاب والألم، من مستلزمات لحب ولكن، إذا تحول الحب إلى قطيعة وذاق الحبيب مرّ الفراق، وانقطع الأمل والرجاء بالعودة إلى الألفة والود، شعر الموله بالسويداء والكآبة، وانطوى على ذاته يتذكر الماضي ويحن إليه، في ما يشبه العزلة، وقد يلجأ إلى الكحول لينسى ما هو فيه من هم وشقاء، فتزداد حالته سوءا، فيتملكه اليأس، ويطلب الموت ويشتهيه ولشده تزداد ذكره في شعره، يقول"دوموسيه" في "لوسي"

[1] داوود غطاشة، حسين راضي : قضايا النقد العربي ص 118.

عندما أموت، يا أصدقائي الأعزاء

ازرعوا شجرة صفصاف عند القبر

فأنا أحب أوراقها المحزونة

وقد زرعت، بالفعل شجرة صفصاف عند ضريح "دوموسيه" وحفرت هذه الأبيات على لوحة الشاهد [1].

وإذا كان استشهاد الموت عند "mos sutموسيه" و "funsفيني" وغيرهما قد بقي في نطاق التمني فإنه انتقل في حيز الحقيق في رواية "fartarفارتر"ل"gotaجوته" عندما انتحر البطل واقتدى به كثيرون من الشبان،الذين قرؤوا هذه الرواية وتأثروا بها، وهكذا يصبح الموت هدفا سامي به تكتمل سعادة المحبين، وما هو إلا عبور إلى العالم الآخر، باعتبار أن النفس خالدة [2]

[1] بطرس أنطونيوس: "الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص 306/305 .

[2] المرجع السابق ص 306 .

الفصل الثاني

أثر الرومانسية الغربية في الشعر العربي الحديث

1) نبذة عن حياة الشابي :

أ)حياته:

هو أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الشابي ولد في 24 فيفري 1909 ببلدة الشابية إحدى ضواحي مدينة "توزر" الكبرى"بلاد الجريد" بالجنوب التونسي، وهي بلد ذات طبيعة خلابة ساحرة، وكان أبوه محمد الشابي قاضيا [1].

وكان أبوه يحرص على تحفيظه القرآن الكريم، فما أن بلغ التاسعة من عمره حتى كان قد أتم حفظه بكامله، وقد تلقى تعليمه الأول في الكُتَابْ في بلدة قابس، وفي عام 1921 وهو في الثانية عشر من عمره، أرسله والده إلى العاصمة التونسية حيث تم التحاقه بكلية الزيتونة لكنه لم يكن راضيا عن التعليم فيها، حتى تخرج منها سنة 1927 نائلًا شهادة "التطويع"[2].

وانتسب في العام اللاحق إلى المدرسة التونسية للحقوق ونال الإجازة سنة 1930، وفي سنة 1930 نكب بوفاة والده المحبوب وطفحت الكأس بموته، هذه الوفاة التي ساهمت في زيادة ألام أبي القاسم، فضلا عن وفاة الفتاة التي أحبها في تلك الحقبة أيضا، وزواج غير موفق، وكان لهذه الحوادث تأثير عميق في حياته وشعره الذي انطبع بطابع الحزن والإحساس بالكآبة والمرارة وإلى هذا يشير الشابي في قصيدته يا"موت" :

يا موت قد مزقت قلبي

وقصمت بالأرزاء ظهري

وفجعتني فيمن أحب

[1] محمد كرو: الشابي حياته وشعرة دار مكتبة الحياة بيروت ، بدون طبعة ص 73 .

[2] أبو القاسم الشابي: شاعر الحياة والخلود هاني الخير، دار فلتيس طبعة 1 ، سنة 2008 ص 8و9 .

ومن إليه أبث سّري [1]

أما حياته الخاصة، فإنه كان يعاني من مرض خطير في قلبه، بشكل دائم ومتزايد لم تفلح معها وسائل العلاج في معالجتها، ثم تدهورت صحته كثيرا، وفي 9 أكتوبر 1934 توفي في المستشفى الإيطالي بتونس العاصمة، ونقل جثمانه إلى الشابية مسقط رأسه حيث دفن فيها [2].

ومن يطالع على شعر الشابي يجده شعرا رومانسيا، تتحقق فيه علامات الريادة والتجديد ويظهر فيه بوضوح تأثره بشعراء المهجر ولا سيما جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي .

ب) أعماله الأدبية:

من أجمل ما يلفت الانتباه في أدب الشابي، شعره ونثره، عمق المعنى وجمال الاستعارة مع بساطة في الأداء، وسهولة في التركيب، أما ألفاظه فقد كانت بعيدة عن الغرابة إلّا قليلا مما يسهل إدراك معناه، إنه لا يفتعل اصطياد الألفاظ، بل ينتخبها، ليستعمل القريب منها، والذي يحمل معنى عفيفا وعميقا، ومن ذاك :

كنتُ في فجري الموشح بالأخ لام عِطرًا يرفُ فوق وُرُودكَ.

حالما، ينهلُ الضياء ويُصْغَى لكي، في نشوةٍ بِوَحيْ نشيدك .[3]

فالفجر والعطر ونهر الضّياء، كلها ذات معانٍ قريبة، ولكنها أتت داخل نسيج جديد طريف، إن الأسماء التي تحمل مدلولات لأشياء مادية، تتحول في قاموس شاعرنا إلى معانٍ نفسية، نصلح للدلالة على العاطفة والشعور، فكأن مشاعره كل شيء ، وكأنما لم توضع كل تلك الأسماء إلا لتدل على الإحساسات الدقيقة الرفيقة اليقظة، إنه يجمع كل مفرداته

[1] خليل إبراهيم: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، طبعة 3 سنة 2010 ص 173-174.
[2] المرجع السابق ص 174 .
[3] النعم اني عبد العزيز : رحلة طائر في دنيا الشعر، الدار المصرية اللبنانية ، طبعة 1 سنة 1997 ص 32/31 .

بمدلولاتها العظيمة الهائلة، وأشيائها الرقيقة الدقيقة، يجمعها ليستعيدها متى شاء، ويؤلف بينها تأليفا يلفت قارئ أدبه إلى تلك الأنحاء الخفية في مساحات الشعور داخل نفسه، وإنه ليصف أدبه قائلا :

أشدو بموسيقى الحياة ووحْيها وأذيب رُوح الكون في إنشاد

إنه حقًا يذيب روح الكون في أدبه الباهر، وأسلوبه العظيم، وترجمته لما يعتمل في ضميره المصقول ونفسه الحساسة، حيث يقول :

والشقي الشقي من كان مِثْلِي في حساسيتي، ورقَّة نفسي [1]

كما يتميز شعره بكثرة الألفاظ الدالة على الألم والموت والعذاب، أما موسيقاه، فهادئة حينا كهدوء الليل أيام الربيع، وصاخبة حينا آخر كرياح الشتاء المزمجرة، والطبيعة التي المعجمية أغرم بها، واستمد منها مادة قصائد كثيرة، وتوكأ في بعض رموزه على جوانب كثيرة منها .

وقد اختار لقصائده الأوزان الشعرية الخفيفة والسهلة كالرمل والمتقارب والكامل لخدمة أغراضه المعنوية، لأنه كان ممن يقدمون المعنى على اللفظ وهو كان ينظم لنفسه أولا، وللآخرين ثانيا ونراه في بعض الأحيان لا يلتزم كليا بالقوالب اللفظية ، فيسير على طريقة الرومنطيقيين في التحرر من أعباء القافية، واللفظة المفردة، فيحملها ما لا تطيق مما يبعد بعض ألفاظه عن البيان والوضوح، إلى غياب الغموض والرمز.[2]

على العموم فإن شعره، يتراوح بين الحداثة والقدم، وبين النقمة والتسليم، النقمة على الموروث البالي، والتسليم للأمر الواقع ولكنه لم يستسلم في حال، حتى إنك تراه يعترض على القدر في مواقع عدة اعتراضا ساخرا غير مبرر من الناحية الأخلاقية العقيدة، ولا من الناحية الموضوعية .

---

[1] المرجع السابق ص 32 .

[2] بسج أحمد حسن : الخيال الشعري عند العرب ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة 1 سنة 1995 ص 9 .

يعد ديوانه أهم أعماله الأدبية وكان أعده للطبع ورتبه على طريقته، قبيل وفاته بقليل ولم يتمكن من نشره، فأتم هذه المهمة أخوه محمد الأمين الشابي، وبإشراف أحمد زكي أبو شادي، حيث صدر الديوان فيما بعد، وكان اسمه "أغاني الحياة". [1]

2)الشابي ومدرسة أبولو :

الشابي إبداع أدبي كبير بدأ تألقه في الزيتونة، وطوق هذا الإبداع في أفق وطنه تونس، ثم انتهى أخيرا إلى القاهرة، حيث اتصل هذا الشاعر الشاب الطموح بالدكتور أحمد زكي أبو شادي صاحب مجلة أبولو، ونشر أبو شادي لشاعر تونس الشابي روائع من شعره في مجلة أبولو، وقرأ الناس في مصر وفي العالم العربي ما نشرته هذه المجلة لشابي، فراو فيه شاعرا أصيلا من طراز رفيع، وسار ذكره في كل مكان، ترى لولا صلة الشابي بأبوللو، هل كان يمكن لمختلف أنحاء الدنيا أن تردد شعر الشابي؟.... إن الشابي شعلة مضيئة من الشاعرية والأصالة والمجد الأدبي الذي لا مثيل له [2].

ب)معنى أبولو: إله الفنون لدى اليونان وهو هرمس لدى الرومان وعطارد لدى الكلدانيين، وتحوت عند الفراعنة، وهو عند العرب ليس إلها وإنما شيطان طبقا لقول الشاعر:

إني وكل شاعر من البشر   شيطانه أنثى وشيطاني ذكر [3]

ويبدو أن شياطين الشعراء هذه كانت تسكن في واد يقال له عبقر، ومنه اشتقت العبقرية، على أن تسمية الجماعة ب"أبولو" تثير عددا من التساؤلات، ليس فقط فيما يتعلق بسؤال العقاد عن عطارد، إذ أن أبا شادي يرى أن النقل عن الكلدانيين ليس أفضل من النقل عن اليونان، أما قول العقاد:" إن المجلة التي ترصد لنشر الأدب العربي والشعر العربي لا ينبغي أن يكون اسمها شاهدا على خُلُوْ المأثورات العربية من اسم صالح لمثل هذه الجماعة،

---

[1] المرجع السابق ص 10.
[2] عصفور جابر : ذاكرة الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 2002 طبعة أولى ، ص 66 .
[3] عبد العزيز طلعت : الشعر الوجداني شعراء أبولو، المكتبة القوية الحديثة طنطا طبعة أولى ص 16-17 .

فإني أرى ما باليد حيلة، إذ أن الذي يرعى الشعر عند العرب شيطان وليس إله، ومن غير المعقول أن يسمي شادي مجلته باسم شيطان [1].

ب) مدرسة أبولو :

تمثل مدرسة "أبولو" حركة أدبية عظيمة في الشعر العربي الحديث، ويمثل شعراؤها مجموعة من الشعراء المبدعين الذين يعد فنهم الشعري، ونتاجهم الأدبي قيمة لا يمكن لدارس الشعر الحديث إهمالها أو إغفالها.[2]

حدث في سبتمبر عام 1932 أن أعلن الشاعر المصري الدكتور أحمد زكي أبو شادي (1892-1955) في القاهرة ميلاد هيئة أدبية جديدة، سماها "جماعة أبولو" وجعل مركزها القاهرة وتجمع طائفة من أعلام الأدباء والشعراء والنقاد، ومعهم جماعات من أدباء الشباب ومن بين هؤلاء : أحمد محرم، وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه وكامل كيلاني، وأحمد ضيق وأحمد الشايب، وتولى أبو شادي أمانة سر هذه الهيئة الأدبية بصفة دائمة، واختير أمير الشعراء أحمد شوقي رئيسا لها.[3]

وفي يوم الاثنين العاشر من أكتوبر عام 1932 عقدت الجلسة الأولى لها برئاسة شوقي في داره، لوضع الأسس العامة لنظامها الإداري، والأدبي، ولم يعش بعد ذلك إلا أياما معدودات، وبعد أسبوع كامل من الحداد والحزن اجتمع الأعضاء في يوم 22 أكتوبر 1932 في مقر رابطة الأذن الجديد بالقاهرة واختاروا خليل مطران رئيسا لها [4].

كانت أغراض الجماعة كما أعلنت منذ ميلادها هي ما يأتي :

أ) السمو بالشعر العربي، وتوجيه الشعراء توجيها شريفا

ب) مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر

---

[1] المرجع نفسه ص 17 .

[2] عوين أحمد: الطبيعة الرومانسية في السعر العربي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر سنة 2000 ، الطبعة الأولى ، ص 11 .

[3] خفاجي محمد عبد المنعم : الشابي ومدرسة أبولو ، سنة 1986 ، طبعة اولى ص 13 .

[4] المرجع السابق ص 14 .

ج) ترقية مستوى الشعراء ماديا وأدبيا واجتماعيا، والدفاع عن كرامتهم، وهي أهداف تلاقت مع أهداف الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية، وأهداف مدرسة الديوان .

كانت عضوية الجماعة مفتوحة في مصر وجميع الأقطار العربية للشعراء خاصة، والأدباء ومحبي الأدب عامة [1].

فمنذ ميلاد هذه الهيئة الأدبية أصدرت مجلة تحمل اسمها، وتنشر أدبها، وتذيع وأفكارها وهي مجلة "أبولو"، وهي أول مجلة خصصت للشعر ونقده في العالم العربي، وفي افتتاحية العدد الأول من أعدادها كتب أبو شادي يقول :"نظرا للمنزلة الخاصة التي يحتلها الشعر بين فنون الأدب، ولما أصابت رجاله من سوء الحال، بينما الشعر من أجل مظاهر الفن، وفي تدهور إساءة للروح القومية، لم نتردد في أن نخصه بهذه المجلة، التي هي الأولى من نوعها في العالم العربي، كما لم نتوان في تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هي جمعية أبولو، حبا في إحلالهْ مكانته السابقة الرفيعة، وتحقيقا للتآخي والتعاون بين الشعراء" [2].

كما نجده يقول: "كما كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغنى بأبوللو للشعر والموسيقى، فنحن نتغنى في حمى هذه الذكريات، التي أصبحت عالمية، بكل ما يسمو بجمال الشعر العربي، وبنفوس شعرائه"[3].

وفي صدد العدد نفسه قصيدة "لشوقي" حيا بها ميلاد هذه الجماعة ومجلتها جاء فيها :

أبولو !! مرحبا بك يا أبولو فإنك من عظاك الشعر ظل

عكاظ، وأنت للبلغاء سوق على جنباها رحلوا وحلوا [4]

ومن العجب أن تظهر مدرسة "أبولو" الشعرية في جو كان يسوده الظلام، والحزن، وفي فترة ليس لها مثيل في تاريخنا القومي، وفي خلال أزمة عالمية عاتية، وكان أكثر شعراء هذه الجماعة من صميم الشعب، وأبناء الفلاحين والفقراء، وفي العام الذي ظهرت فيه،

---

[1] المرجع السابق ص 14 .
[2] خفاجي عبد المنعم : الشابي ومدرسة أبولو ، ص 14 .
[3] المرجع السابق ص 15 .
[4] عصفور جابر : ذاكرة الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 2002 ، ص 66 .

حافظ وشوقي قد لقيا ربهما، وقام المجتمع اللغوي، وكلية اللغة العربية في القاهرة، وظلت الجماعة باقية، وإن كان نشاطها قد فتر، إلا أن الامتدادات الفكرية والأدبية لها بقيت مستمرة حتى اليوم، وأحدثت آراؤها دويا في الأدب والشعر والنقد[1].

ومن ثم ينبغي الإشارة إلى أن المقصود بمدرسة "أبولو" الشعرية، تلك التي تجمع مجموعة من الشعراء غلبت على نتاجهم الأدبي روح التجديد المتمثل في هيامهم بالاتجاهين الرومانسي والرمزي، وإن كان الاتجاه الأول هو الغالب، مما يؤكد أن مدرسة"أبولو" أحد مظاهر التأثر بالاتجاهات الأدبية الحديثة، سواء كان هذا التأثر نابع من داخل البيئة الأدبية العربية أم من خارجها [2].

ج)أثر مجلة أبولو:

لقد كانت مجلة "أبولو" هي الأولى من نوعها في العالم العربي، فلم تسبقها مجلة أخرى تتخصص في نشر الشعر ونقده، ولا تنشر غير ذلك، ومن ثم كانت أهميتها العظمى.

وقد عنيت بأبواب الشعر المختلفة، ومن ذلك شعر الفلسفي، وشعر الحب، والشعر القصصي، وشعر التصوير، وشعر الأطفال، والشعر المترجم، وشعر الطبيعة، ودعت إلى أن يكون الشعر خالصا للشعر، ورفضت التكسب بالشعر، وأن يكون للشعر أن الفن هدف غير فني

ودعت إلى تغيير القوافي والأوزان في القصيدة الواحدة، وكتابة الشعر المرسل غير متقيد بالقوافي، أي الشعر الحر أو الشعر المنثور وكتابة الشعر القصصي والقصيدة الهرمية، والاستفادة من نظام الموشحات الأندلسية، والأوبرات الشعرية، وغير هذا من ناحية التحرر من الشكل التقليدي للقصيدة العربية، كما دعت إلى الوحدة العضوية في العمل

---

[1] المرجع السابق ص 67-68 .

[2] عوين أحمد : الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ص 11.

الأدبي، ولم تعد الوحدة وحدة البيت في القصيدة، وإنما أصبحت القصيدة صورة حية متكاملة [1]

أضف إلى ذلك أنها نادت بالغوص في النفس الإنسانية والطبيعة والتأمل فيها، بحيث أصبح الشعر صورة عن نفسية صاحبه، وإلى تراسل الحواس، ومبعث ذلك كله الفردية والحزن والشك التي تتميز به الرومانسية، وماإن

بثق عنها من مذاهب، كل هذا نادت به مدرسة المهجر، واحترزت منه الديوان، وأذاعته أبولو [2].

فعلى الرغم من أن المجلة قد نشرت قصائد للتقليديين، إلا أن سمة التجديد كانت هي الغالبة عليها، ويظهر ذلك على ثلاث محاور :

1) نشر تراجم عن حياة الشعراء الغربيين ولا سيما الذين يدينون بالمذهب الرومانسي، إضافة إلى نشر ترجمات قصائدهم.

2) نشر الدراسات النقدية التي تتناول الأعمال الغربية، والاتجاهات الحديثة في الشعر الغربي .

3) نشر قصائد الشعراء العرب المجددين الذين تختلف روحهم الشعرية عما كان سائدا قبل ذلك.[3]

وليس من الشك في أن المجلة كانت تمثل نهضة شعرية عظيمة، ولقد ظهر ذلك على مايلي:

1) ساعدت المجلة كثيرا من الشعراء الشبان عل الظهور بقصائدهم فوق صفحاتها الأولى في حياتهم، ومن هؤلاء " محمود إسماعيل"،الذي نشر لأول مرة في حياته بمجلة "أبولو"

---

[1] عباس مراد حسن : مدارس الشعر العربي الحديث بين النظرية الغربية والتطبيق العربي دار المعارف الجامعية، طبعة أولى ، سنة 2003 ، ص 60 .

[2] المرجع السابق ص 62/61 .

[3] عوين أحمد : الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ث 23/22 .

2) ساعد المجلة كثيرا من الشعراء الذين نشروا قبل صدورها، ولكنهم كانوا مغمورين، غير معروفين على نطاق واسع، فوسعت من نطاق معرفة الناس بهؤلاء، وزادت من شهرتهم، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك العون من قبل المجلة ما كان من شأن "الشابي"، الشاعر التونسي، الذي أضعت المجلة صيته، حتى وصل إلى الشام والعراق، وقد كان قبل ذلك لا يعرف خارج تونس، وكانت قصيدته"صلوات في هيكل الحب" سنة 1933، أولى قصائده التي نشرها بمجلة "أبولو"

3) نشر كثير من الدواوين، وخاصة التي يغلب عليها الاتجاه الرومانسي[1]

فكل هذا يؤكد اهتمام المجلة ومدرستها بالاتجاهات الجديدة في الشعر، وعنايتها بالشعراء، ونشرها لكثير من الشعراء سواء كانوا مقلدين أو محافظين، وخير دليل على ذلك، الشاعر الرومانسي الكبير "أبو القاسم الشابي" الذي وفته المنية وهو في أعز مرحلة من شبابه

3)قصيدة المساء الحزين :

1- أَظَلَّ الوُجُودَ المساءُ الحزينُ وفي كفِّهِ معْزَفٌ لا يُبينْ

2- وفي ثَغرهِ بَسَماتُ الشُّجونِ وفي طَرفِهِ حَسَراتُ السِّنينْ

3- وفي صدرِهِ لوعةٌ لا تَقِرُّ وفي قلبِهِ صَعَقَاتُ المَنونْ

4- وقبَّلَهُ قُبلاً صامِتاتٍ كما يَلْثُمُ الموتُ وَرْدَ الغُصُون

5- وأَفضى إليه بوحْيِ النُّجُومِ وسِرِّ الظَّلامِ ولَحْنِ السُّكونْ

6- وأَوْحى إليه مَزامِيرَهُ فغنَّتْ بها في الظَّلامِ الحُزُونْ

[1] عبد العزيز طلعت : الشعر الوجداني، شعر أبولو ص 100 .

7- وعَلَّمَهُ كيفَ تأسى النُّفوسُ ويَقضي يَؤوساً لديها الحَنينْ

8- وأَسْمَعَهُ صَرَخاتِ القُلُوبِ وأَنْهَلَهُ مِنْ سُلافِ الشُّؤونْ

9- فأَغفى على صدرِهِ المطمَئِنِّ وفي روحِهِ حُلُمٌ مُسْتَكينْ

10- قويٌّ غَلُوبٌ كسِحْرِ الجُفُونِ شجيٌّ لَعوبٌ كزهرٍ حَزينْ

11- ضَحوكٌ وقد بلَّلتهُ الدُّموعُ طَرُوبٌ وقد ظَلَّلَتْهُ الشُّجُونْ

12- تعانِقُهُ سَكَراتُ الهَوَى وتحضُنُهُ شَهَقَاتُ الأَنينْ

13- يُشابِهُ روحَ الشَّبابِ الجميلِ إِذا مَا تأَلَّقَ بَيْنَ الجُّفونْ

14- أَعادَ لنفسي خَيالاً جميلاً لَقَدْ حَجَبَتْهُ صُرُوفُ السِّنينْ

15- فَطَافَتْ بها هَجَسَاتُ الأَسى وعادَتْ لها خُطُواتُ الجُنُونْ

16- أَظَلَّ الفضاءَ جناحُ الغروبِ فأَلقى عليهِ جمالاً كَئيبْ

17- وأَلبَسَهُ حُلَّةً من جَلالٍ شجيٍّ قويٍّ جميلٍ غَلُوبْ

18- فنامَتْ على العُشْبِ تِلْكَ الزُّهُورُ لمرأَى المساءِ الحزينِ الرَّهيبْ

19- وآبَتْ طيورُ الفضاءِ الجميلِ لأوكارِها فرِحاتِ القُلُوبْ

20- وقدْ أَضمرَتْ بأَغاريدها خيالَ السَّماءِ الفسيح الرَّحيبْ

21- وَوَلَّى رُعاةُ السَّوامِ إلى الحيِّ يُزْجُونها في صُماتِ الغُروبْ

22- فتَثْغُو حنيناً لحِمْلانِها وتقطفُ زهرَ المُروجِ الخَصيبْ

23- وهمْ يُنشِدونَ أَهازيجَهمْ بصوتٍ بهيجٍ فَرُوحٍ طَرُوبْ

24- ويَسْتَمْنِحونَ مزاميرهم فتمنحُهُمْ كُلَّ لحنٍ عجيبْ

25- تطيرُ بهِ نَسَماتُ الغروبِ إلى الشَّفقِ المُسْتَطيرِ الخَلُوبْ

26- وتوحي لهم نَظَرَاتُ الصَّبايا أَناشيدَ عهدِ الشَّبابِ الرَّطيبْ

27- وأَقْبَلَ كُلٌّ إلى أهلِهِ سِوَى أملي المستطارِ الغَريبْ

28- فقد تاهَ في مَعْسَباتِ الحَيَاة وسُدَّتْ عليه مناجي الدُّروبْ

29- وظلَّ شَريداً وحيداً بعيداً يُغالبُ عُنْفَ الحَيَاةِ العَصيبْ

30- وقد كانَ مِنْ قبلُ ذا غبطةٍ يُرفرفُ حولَ فؤادي الخَصيبْ[1]

[1] كبا إميل : أبو القاسم الشابي ديوان أغاني الحياة ، دار الجيل ، بيروت طبعة أولى سنة 2002 ص 65-66.

31- ولمَّا أَظلَّ المَساءُ السَّماءَ وأسكَرَ بالحُزْنِ روحَ الوُجُودْ

32- وقفتُ وساءلتُهُ هل يَؤوبُ لقلبي رَبيعُ الحَيَاةِ الشَّرودْ

33- فَتَخْفُقُ فيه أَغاني الورودِ ويخضرُّ فِرْدَوْسُ نفسي الحَصيدْ

34- وتختالُ فيهِ عَروسُ الصَّباحِ وتمرَحُ نَشْوَى بذاكَ النَّشيدْ

35- ويَرجعُ لي مِنْ عِراصِ الجحيمِ سلامُ الفؤادِ الجميلُ العهيدْ

36- فقد كبَّلَتْهُ بَناتُ الظَّلامِ وأَلقيْنَهُ في ظلامِ اللُّحودْ

37- فأَصْغى إلى لَهَفي المستمرِّ وخاطَبَني مِنْ مكانٍ بعيدْ

38- تَعودُ ادِّكاراتُ ذاكَ الهَوَى ولكنَّ سِحْرَ الهَوَى لا يَعودْ

39- فجَاشَتْ بنفس مآسي الحَيَاةِ وسخطُ القُنُوطِ القويِّ المُريدْ

40- ولمَّا طَغَتْ عَصَفاتُ القُنُوط فمادتْ بكلِّ مَكِينٍ عَتيدْ

41- أَهَبْتُ بقلبي الهلوعِ الجزوعِ وكانَ مِنْ قبلُ جَلْداً شَديدْ

42- تجلَّدْ ولا تَسْتَكِنْ للَّيالي فما فازَ إلاَّ الصَّبورُ الجَليدْ

43- ولا تَأْسَ مِنْ حادِثاتِ الدُّهُورِ فخَلْفَ الدَّياجيرِ فَجْرٌ جَديدْ

44- ولولا غيومُ الشِّتاءِ الغِضابُ لما نَضَّدَ الرَّوضُ تِلْكَ الوُرودْ

45- ولولا ظَلامُ الحَيَاةِ العَبُوسُ لما نَسَجَ الصُّبْحُ تِلْكَ البُرُودْ[1]

نظمها في 27 رجب 1346ه/20 جانفي 1928م

في المقطع الأول يصور الشاعر مشهد الطبيعة عند الغروب، مشهد حزين يبعث على الأسى والتأمل والتفكير مشهد الظلام وقد أخف العالم بردائه القاتم ما يلقي في النفس ظلالا من الكآبة والأسى

ويثر فيها أفانين من التصور والحنين والذكريات والخيالات البديعة، ذكريات الطفولة والحب والهوى ومختلف أنواع الشجون [2]

أما في المقطع الثاني تصوير آخر للغروب والفضاء الذي اكتسب بتل الحلة الجميلة، وللأزهار الغافية، والطيور الآبية إلى أوكارها، وعودة الرعاة وقطعانهم، وبأيديهم مزاميرهم يعزفون عليها كل لحن غريب، وللصبايا العائدات من الحقول كل عاد إلى وكره وبيته، إلا الشاعر، فقد تاه به الخيال بعيدا فهو يعاني الوحدة والغربة والوحشة، يشعر بالأسى، ويحس بأنه مشرد في هذا العالم الجياش بمختلف مظاهر العنف والصراع [3].

أما في المقطع الثالث والأخير، فإن الشاعر ضمّنه سؤاله إياه عن إمكانية عودة ربيع الحياة إلى قلبه، فيشعر بالغبطة والسرور، والمسّرة والنشوة والسلام، كما ضمن الشاعر المقطع نفسه رد المسّاء عليه، وخلاصته أن الهوى كذكرى، قد يعود ولكن سحره لن يعود، ما أهاج في قلب الشاعر عواطف من القنوط واليأس والهلع، لكن الشاعر سرعان ما يهيب

[1] كبا إميل : أبو القاسم الشابي ديوان أغاني الحياة ، دار الجيل ، بيروت طبعة أولى سنة 2002 ص 67
[2] شامي يحي : شرح ديوان أبي القاسم الشابي ، دار الفكر العربي بيروت ، طبعة أولى سنة 1997 ص 170 .
[3] شامي يحي : شرح ديوان أبي القاسم الشابي ، دار الفكر العربي بيروت ، طبعة أولى سنة 1997 ص 171.

بقلبه أن يتجلد ويصبّر، على حوادث الزمان، أن يأمل الخير والفلاح، إذ أن وراء المساء الصباح، وخلف الغيم، النور، وبعد الشتّاء الربيع، وإن من بعد الظلمة والديجور، والتباشير[1].

شرح المفردات :

- المعزف= ما يعزف عليه من الآلات الموسيقية ، لايبين= لا يتضح

- الشجون= الأحزان ، طرفه= نظره ، حسرات= مفردها حسره وهي التلهف

- لوعة= حرقة الحزن والهوى والوجد ، لاتقر= لاتسكن

- صعقات المنون= جلبة الموت وضرباته ، يلثم= يُقَبِّل ، أفضى إليه= أعلمه

- الحزون= جمع الحزن وهو الأرض الغليظة ، تأسى= تحْزَنْ ، يقضي= يموت

- يؤوسا= قانطا منقطع الرجاء ، أنهله= رواه بشرب متصل

- سُلافِ= الخمرة ، الشؤون= مفردها الشأن وهو العرق الذي تجري منه الدموع

- فأغفى= فنام نوما عميقا ، مستكين= خاضع ذليل ، غلوب= كثير الغلبة لايقاوم

- شجّيٌّ= عذب ، لعوب= عابث لاه ، ظللته= ترين عليه

- تألق= التَمَعَ ، صروف= مصائب ، هجسات= مفردها هجسة وهي مايخطر في البال

- الأسى= الألم النفسي ، حُلةً= ثوبا ، جَلَالٍ= وَقَارْ وهيبة ، آبَتْ= رجعت [2]

- وَلَّى= إبتعد ، السَّوام= الماشية التي ترسل للرعي ، يزجونها= يسوقونها

- صُمَاتِ= سكوت ، تثغُو= هو صوت النعاج ، الأهازيج= الأناشيد

---

[1] المرجع السابق ص 172 .

[2] بسج أحمد حسن : ديوان أبي القاسم الشابي ، دار الكتب العلمية بيروت طبعة رابعة سنة 2005 ص 147 .

- يستمنحون= يطلبون عطية ، مزاميرهم= مفردها مزموروهو مايترنم به من الأناشيد

- الشَفَقِ= الحمرة التي تتركها الشمس وراءها وهي تسقط في المغيب

- المستطير= المتفرق المتشرد ، الخلوب= يسلب ، الرَّطِيبْ= الناعم العذب

- المستطار= المتبدد ، الغريب= المتوحش في غربته ، مَعْبَسَاتْ= مصاعبها

- غِبْطَةٍ= الفرحة والسرور ، الخصيب= الخير على معنى التفاؤل

- تَخْفِقُ= تظطرب ، الحَصِيدْ= المفجوع بحبه ، تَخْتَالْ= تزهو وتتمايل

- عروس الصباح= الشمس ، نشوى= سَكَرَى [1]

- عراص= مفردها عرصة وهي كل بقعة ليس فيها بناء ، العهيد= القديم

- بنات الظلام= المصائب والفواجع على أنواعها ، اللحود= مفردها اللحد وهو القبر

- ادّكارات= ذكريات ، جَاشَتْ= إضطربت ، سُخْطُ= غَضَبْ ، القنوط= اليأس

- المريدْ= الخبيث الشرير ، طَغَتْ= هاجت وجاوزت الحد ، الدَيَاجير= مفردها ديجور وهو الظلام ، نَضّدَ= زَينَ ورتبَ ، مَادَتْ= تَحَرَكَتْ

- مادتْ، تحركت وإضطربت، مَكِينْ= ذي مكانة ، عتيدْ= الحاضر المهيأ

- الهوع= الخائف ومثله الجزوع ، جلدا= مُتَصَّبِرًا ، تجلَّدْ= تَصَبَرْ ، لاتَسْتَكِنْ= لاتَخْضَعْ[2]

---

[1] بسج أحمد حسن : ديوان أبي القاسم الشابي ، دار الكتب العلمية ,بيروت ,طبعة رابعة ,سنة 2005 ص 148 .

[2] المرجع السابق ص 149 .

المحسنات اللفظية والمعنوية والبديعية في القصيدة :

1) المحسنات اللفظية :في هذه القصيدة نوعان وهما الجناس والسجع

أ) الجناس: في تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافها في المعنى وهو نوعان : جناس تام جناس غير تام (ناقص) .

الجناس التام يسمى الجناس العامل أو المستوفي وهو أن تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركتهما ولا يختلفان إلا في جهة المعنى [1].

ـ فقد كبلته بنات الظلام وألقينه في ظلام اللُّحُودِ

في هذا البيت وردت لفظة "الظلام" و " ظلام " هو جناس تام لأن اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي نوع الحرف وشكلها وعددها وترتيبها (البيت 36)

ـ تعود ادكارات ذاك الهوى ولكن سِحْرَ الهوى لايعود

ـ في هذا البيت وجدت كلمة "الهوى"و"الهوى" هو جناس تام لأن اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي نوع الحرف وشكلها وعددها وترتيبها (البيت 38)

ـ جناس غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة في الجناس التام بمعنى نوع الحرف والشكل والعدد والترتيب [2]

وفي صدره لوعة لا تقر وفي قلبه حسرات السنين

في هذا البيت يدل جناس اللاحق لأن لفظ "صدره" و"قلبه" هما مختلفان في الحرف مع متباعدتين في المخرج (البيت 3)

ولما أظل المساء السماء وأسكر بالحزن روح الوُجُودْ

---

[1] بسيوني عبد الفتاح : علم البديع ، مؤسسة المختار القاهرة ، الطبعة الثالثة سنة 2001 .
[2] المرجع السابق ص 272 .

في هذا البيت وجدت كلمة "المساء"و"السماء" يدل على جناس القلب البعض، لا نعكس الترتيب فيه ليس جمع الحروف بل في بعض الحروف، قد وجد هنا لفظتي "المسا" و"السما" هما مقلوبان ولكن لا يقلب في اللفظتان (البيت31)

ب) السجع : هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره

السجع ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي السجع المطرف والسجع متوازي والسجع المرصع ولكن في قصيدة "المساء الحزين" توجد نوعان المطرف والمتوازي [1].

تطير به نسمات الغُرُوبْ إلى الشفق المستطير الخَلُوبْ

في هذا البيت نجد كلمة "غُروب"و"خَلُوبْ" وهي سجع المطرف لأن اختلفت فيه الفاصلتان وزنا ، واتفقت في التقفية ، وأما الفاصلة الأولى بوزن "فُعُول"، والفاصلة الثانية بوزن"فَعُولْ" والتقفية بينهما يعني "ول"،"ول" في البيت (25)

ـ سجع المتوازي: هو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتقفية [2]

قَوِيٌ ، غَلُوبٌ، كسحر الجُفُونْ شَجِيٌ ، لَعُوبٌ، كزهرٍ حَزِينْ

في هذا البيت الفاصلة الأولى نجد كلمة "غَلُوبٌ" ، وفي الفاصلة الثانية كلمة "لَعُوبٌ" وهي سجع المتوازي لأن اتفقت فيه الفقرتان أو الفاصلتان في الوزن التقفية على وزن "فَعُولُنْ"، والقافية "وب"،"وب" البيت (10)

[1] علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، دار المعارف مصر، بدون طبعة ولا سنة ص 273.

[2] علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة ص 280 .

2) المحسنات المعنوية: وتنقسم إلى عدة أقسام ومنها التورية، والطباق، المقابلة

أ الطباق: هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام وينقسم إلى قسمين: وهو طباق الإيجاب وطباق السلب [1].

ـ طباق الإيجاب : هو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا [2].

ـ ضحوكٌ ، وقد بَلَّلَتْهُ الدموع طَرُوبُ ، وَقَدْ ظللته الشُجُونْ.

ـ في هذا البيت وردت الكلمة الأولى "ضحوك" والكلمة الثاني "الدموع" ، كلمة "ضحوك" بمعنى "يضحك" ، وأما كلمة "الدموع" بمعنى "البكاء" طباق الإيجاب (البيت 11)

ـ طباق السلب : هو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا [3].

ـ تَعُودُ ادكارات ذاك الهوى ولكن سِحْرَ الهَوَى لا يَعُودْ

ـ في هذا البيت وردت لفظة "تَعُودُ"و" لا يَعُودْ"، وهذان الكلمتان هو طباق السلب لأن اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا

ب) المقابلة: وتعني التضاد بين جملة وجملة، آو بين معنى ومعنى [4]

ـ وأضفى إليه بوحي النُجُومْ ولكن سِرَّ الظلامِ، ولحن السُكُونْ

ـ في هذا البيت وردت لفظة "وحي" بمعنى إلهام، وكلمة "سِرّ" بمعنى إخفاقٌ ولفظ النجوم بمعنى ظهر أو واضح مقابلة باللفظ الظلام بمعنى مظلم .

3) المحسنات البديعية: وهي التشبيه، الاستعارة، الكناية، المجاز.

---

[1] المرجع السابق ص 281.
[2] المرجع السابق ص 281.
[3] المرجع السابق ص 282.
[4] نهاد تكريتي : المرجع الكامل في جميع مواد اللغة العربية وشواهدها ، دار دمشق الشام طبعة أولى سنة 1989 ص 390 .

أ) التشبيه: هو عقد موازنة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر من الصفات بأداة ملحوظة أو ملفوظة، أركانه هي المشبه المشبه به، أداة الشبة وجه الشبه.

ـ قويٌّ غَلُوبٌ كسِحْرِ الجُفُونِ شجيٌّ لَعوبٌ كزهرٍ حزين

ـ " كزهر حزين" تشبيه حيث شبه الشاعر "الزهر " بالإنسان الذي يحزن (البيت10)

ب)الاستعارة: هي لغة رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر

أما اصطلاحا: فهي مجاز لغوي علاقته المشابهة وتشبيه، حذف طرفيه، والاستعارة في الجملة هي أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا ثم يستعمله الشاعر، أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل [1].

ـ أظل الوجود المساء الحزين وفي كفه معزف لاييين

ـ "المساء الحزين" حيث شبه "المساء" بالإنسان" الذي يحزن وحذف المشبه به الذي هو "الإنسان" وترك أحد لوازمه "الحزين" على سبيل الاستعارة المكنية (البيت الأول)

ـ "في كفه معزف" شبه المساء بالإنسان وجاء بقرينه تدل عليه"كَفِه" على سبيل الاستعارة المكنية (البيت الأول)

ج) الكناية : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجئ إلى معني يراد فه في الوجود فيؤمن به إليه، ويجعله دليلا عليه[2].

ضحوك ، وقد بللته الدموع طروبٌ وقد ظللته الشجون

ـ "بللته الدموع" كناية عن الحزن (البيت 11)

ـ وألبسه حلةً من جَلَالٍ شجيًّ ، قويّ ، جميل ، غَلُوبْ

ـ ألبسه حلة من جلال كناية عن الهيئة (البيت 17)

ـ تطير به نسمات الغروب إلى الشَّفَقِ المستطير الخلوب

ـ "تطير به نسمات الغروب" كناية عن الفرج (البيت 25)

ـ أما القصيدة فهي من البحر المتقارب على أربعة تفعيلات :

فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُ

---

[1] المرجع السابق ص 50.

[2] المرجع السابق ص 51 .

ـ أَظَّلَ الُجُوْدَ اَلْمَسَاءْ اَلْحَزِيْنَ

ـ أَظَظْلُ لْوُجُوْدَ اَلْمَسَاءْ اَلْحَزِيْنَ

/0// /0/0// / 0/0// / 0/0//

فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُ

4)ملامح الرومانسية في شعر الشابي :

يترجح شعر الشابي بين نزعتين متناقضتين : الأولى تشده إلى الحياة وما تمثله من قوة وجمال وحب والأخرى تميل به إلى الموت الذي يتجسد في الكآبة المفرطة وشعور الاضطهاد والاستسلام ، حتى لتصل به الحال إلى تمني الموت فعلا، لكن الشابي في ترجحه بين هاتين النزعتين يصدر عن رؤية عميقة يعتبر فيها أنه غريب عن وطنه.

أ)الحياة:

الحياة عند الشابي رعب دائم يفتقر إلى العون والحماية، لا حجز ناعم يطمئن فيه ، وهي مليئة بالأفاعي الشريرة التي تهدده دائما لا بالفراشات الجميلة، بل إنها مملوءة بالخطايا والآلام ولذلك يبدو الشابي أقرب إلى الطفل الخائف، وشعره أدنى إلى لغة الطفولة بكل جمالها وهولها، إنه يخاف أن يجتاز السياج، سياج المثل الجميلة التي تمنحه الأمن والراحة[1].

ويبلغ شعور الضعف ذروته عندما يتصور الشاعر الحياة كأنها ساحة حرب تداس فيها الرؤوس، الإنسان هنا مسحوق ومجرد من كل قيمة إنسانية، إنه رمي في هذا العالم بدون

[1] طنوس جان : ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره ، دار علاء الدين ، الطبعة الأولى ، سنة 2001 ص 83 .

أية عناية إلهية، كأن معاناة الشاعر عبثية في الصميم، لتوحي بأمل أو رجاء، بل هي كابوسية جحيميه الإنسان فيها يعاني جحيمه على هذه الأرض [1].

وإذا بالحياة في ملعب الدهر تداس الرؤوس بالأقدام

وإذا الكون فلذة من جحيم تتغذى بكل قلب دام

فجبروت الحياة هنا يقابله عجز الشاعر والعلاقة بين الاثنين جدلية، فالحياة الساحقة يتضاعف جبروتها عندما تغزو الشاعر سموم الضعف، وهي أيضا تزيده وهنًا عندما تستبد به الآلام أو تحاول رميه من جبل الحياة الوعر

متسلقًا جبل الحياة الوعر كالشيخ الضرير

دامي الأكف ممزق الأقدام مغبر الشعور [2]

فالشابي لايني يرسم صورة سودانية للحياة كأنه يعني فتوتها وملذاتها، وهو يظهر هنا شيخا ضريرا لا شابا أمام النكبات، إنه في غاية الضعف والوهن، لا يبصر، وقد يهوي إلى القاع الحضيض في أية لحظة، لقد فقد الشابي هنا إرادة الحياة واستسلم أمام الصعوبات، وهو هنا لا يستلذ بالمغامرة أو ينتشي بالرفض، بل إن خضوعه هو خضوع العاجز المريض الذي لم يستشعر القوة في يوم من الأيام، إن شبابه عبارة عن شيخوخة ضعيفة [3].

ولا ضرورة هنا للاستضافة في تحليل الصور الكابوسية التي يعرضها الشابي، نكتفي منها، على سبيل المثال بصورة وادي الزَمَانْ، حيث يسير دامي القلب، يدوس أشواك الحياة، ويرى الحق مستضعفا والشرور مستفحلة، لقد رأى الشابي عكس متوهم وعانى نقيض ماظن، لقد أراد خميلة من الحب والأمان والوئام، فإذا بها ساحة وغى أو صحراء قاحلة أو مرتقي صعبا أو واديا، يحفل بالأشواك والغليان [4].

---

[1] المرجع السابق ص 83 .
[2] المرجع السابق ص 84 .
[3] خفاجي محمد عبد المنعم : الشابي ومدرسة أبولو ، ص 80 .
[4] المرجع السابق ص 81 .

وبقيت في وادي الزمان الجهم أدأب في المسير

وأدوس أشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير

وأرى الأباطيل الكثيرة والمآتم والشرور.

وإذا كانت الحياة على مثل هذه الرؤيا المرعبة، فمن الطبيعي أن يشك الشابي بعدالتها، فهي توزع خيراتها على البعض، بينما تحرم البعض الآخر من العبقرية أو من السعادة :

وعقل من الأضواء في رأس نابغ   وعقل من الظلماء يحطه فدم

وأفئدة حسرا تذوب كآبة   وأفئدة سكرا يرف لها النجم [1]

فالحياة عاهرة لا يؤمن جانبها ولا صديق ، بل هي تخدع عاشقها، وتقدم له الخمر لا لتسر فؤاده ولكن لتطرده خارجا، وهي تتودد إليه وتوسده ذراعها ولكن لتحوله إلى شبح من الحزن والكمد :

يا للأيام فكم سرت   قلبا في الناس لتكمده

هي مثل العاهر عاشقها   تسقيه الخمر وتطرده

بالأمس يعانقها فرحا   ويضاجعها فتوسده

واليوم يسايرها شبحًا   أضناه الحزن ونكده [2]

فالشابي يبدو حيال الحياة كالأحمق المأفون الذي تتلاعب به عاهرة خادعة إنها كالسراب تتودد إليه لتطعنه في الصميم، فكأنها تسخر من ضعف رجولته وقلة حيلته، ولا ريب أن الشاعر يتمنى أن تكون الحياة، بالنسبة له، زوجة وفية أو صديقة أمينة يستطيع أن يرتاح في أحضانها، ولكن عبثا، فجرثومة الضعف كامنة في أعماق الشابي الذي ينظر إلى الحياة بهذا النظار الأسود، وليست الحياة بصورة عامة، ينبوع مسرات دائمة تهبها لبني

[1] المرجع السابق ص 93

[2] عوين أحمد : الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ص 95 .

البشر، ولكنها في المقابل، ليست شقاء متصلًا كما يحيل للشاعر، لذلك يعتبرها غادرة، متقلبة، تصب السّم في الدسم وتمنح القليل من السعادة لتروح تنتقم أفظع انتقام [1].

الحياة هنا ليست أما بقد رما هي "الخالة" كما يعبر "ألفرد دوميني" الذي أعجب الشابي بإلحاده، مع الفارق أن الشاعر الفرنسي يعتبر الطبيعة هذه الخالة، أما الشابي فيعتبرها مفترسة أو عاهرة أوساحة وغى، يموت فيها البريء الضعيف، ويفوز القوي الشديد :

إن الحياة صراع فيها الضعيف يداس

ما فاز في ما ضغيها إلا شديد المراس

للحب فيها شجون فكن فتى الاحتراس

الكون كون شقاء الكون كون التباس

الكون كون اختلاف وضجة واختلاس [2]

وإذا كان الشاعر يدعو هنا إلى الاحتراس، على نقيض ما رأيناه سابقا من الإذعان والاستسلام فلأن القصيدة تتناول موضوعا وطنيا يجود فيه الشابي بنصائحه التي تدعو إلى القوة والعزم، ومقاومة الصعاب، بينما يظل على المستوى الشخصي، إنسانًا لا تنسجم ثوريته الوطنية مع وجدانيته المتداعية البائسة، فهنا نجده يفتقر إلى جذوة الكفاح والمغامرة، والغريب أن الشابي في طور الضعف هذا، لا يتمرد ولا يثور بل يتقبل بإذعان مظاهر الموت كما رأينا سابقا [3]

[1] طنوس جان : ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره ص 88 .
[2] المرجع السابق ص 89 .
[3] المرجع السابق ص 90 .

ب) الحب:

إن مفهوم الحب عن الشابي متعدد فهو تارة يرمز للمرأة وتارة أخرى إلى الوطن، فهذه التجربة تتجلى فيها أيضا نوازع الموت، فالشاعر الذي نذر حياته للحب، باعث الحياة في النفوس والأجساد يصطبغ شعره هنا بلون الألم والتشاؤم واليأس [1].

ففي قصيدة "أيها الحب" وهي من بواكير قصائده، يوائم الشابي بين المتناقضات جميعا، فالحب سّرُ شقائه، ولكنه أيضا مرتجى ألامه، فهو نشوة الجمال ولكنه، في المقابل السُّمْ الزعاف لذلك يتساءل الشابي عن جوهره، فهل هو نار محرقة تلتهب في روضة النفس، فتقضي على طاقاتها، أم هو نور سماوي يضيء الظلمات؟، ويظل الشابي في حيرة من أمره، ناسبا إلى الحب صفاة الموت والحياة في آنٍ معًا، فهو لا يدري إن كان يعيش في الحب أو يموت به فنجده يقول :

يا سلاف الفؤاد ! يا سم نفسي   في حياتي ! يا شدتي ! يا رخائي .

ألهيب يثور في روضة النفس   فيطغى ، أم أنت نور السماء .

ليت شعري ، يا أيها الحب قل لي   من ظلام خلقت ، أم من ضياء [2] .

هذا الجانب المظلم في تجربة الحب عنده يعود إلى أن الشابي فقد حبيبته في الطفولة، لقد فجعته الحياة في أعز أمانيه، وما إن فتح عينه على محاسنها، حتى غرزت الأشواك فيها،

لقد تفتح الشابي على الحياة وإذا بالصدمات تتوالى عليه، لذلك انطوى على نفسه حزينا يائسا :

مات من تهوى! وهذا اللحد قد ضم الحبيب

فَابْكِ يا قلب بما فيك من الحزن المذيب [3]

---

[1] عصفور جابر : ذاكرة الشعر ص 68 .

[2] المرجع السابق ص 70 .

[3] عبد العزيز طلعت : الشعر الوجداني لدى شعراء أبولو ص 90 .

فالشبابي يسأل المساء إن كانت تجربة الحب ستعود من جديد ومعها سيرجع السلام والفرح الأكيد، لكن المساء يجيب إجابة قاسية، وإن لم تَخْلُ من بعض العزاء، فسحر الهوى لا يعود ولكن تبقى تذكاراته، ومن خلالها يستطيع الشاعر أن يستعيد شيئا من خلال الفردوس المفقود، ولا شك أن تشاؤم الشابي دفعه إلى اليأس من تجدد الحب، مع أنه في مرحلة القوى كما سنرى، ارتشف من ذلك الإكسير العجيب الذي خلقه من جديد ونفث الحياة في شبابه المتداعي إذ يقول :

وقفت وساءلته : هل يؤوب لقلبي ربيع الحياة الشرود

فتخفق فيه أغاني الورود ويخضر فردوس نفسي الحصيد.

ويرجع لي من عراص الجحيم سلام الفؤاد الجميل العهيد

تعود إدكارات ذاك الهوى ولكن سحر الهوى لا يعود [1]

وهو أحيانا يتشكك في طهارة الحب ويتساؤل إذا كان الجمال الجسدي يتناسب مع الجمال الروحي، فهو يخشى أن يكون كالزهرة الجميلة، ذات العطر الجميل لكن القاتل، إنه كالخضم الساحر ولكنه يموج بالشر الآثم :

وخضم ، يموج بالإثم والنكر والشّر ، والظلال المديد؟

لست أدري ، فربّ زهري شذي قاتل رغم حسنه المشهود [2]

فالحب إذا تجرد من الجمال الروحي هاوية مليئة بالرعب والألم والشابي يصور طريق الحب هنا كما كان يصور الحياة سابقا، مفعمة بشتى المخاوف والآلام، يقول في "طريق الهاوية " مستعيدا المعاني نفسها :

يا زهور الحياة ، للحب أنتن لكنه مخيف الورود.

[1] أحمد حسين : ديوان أبي القاسم الشابي ص 120 .

[2] المرجع السابق ص 123 .

فالشابي يرتعب من الجمال إذا خلا من قيم الروح، أما إذا تحلت عذارى الحب بالفضيلة فإن الطريق تصبح مفروشة بالورود :

وسبيل الحياة رحب وأنتن اللواتي تفرشنه بالورود [1]

وهكذا تبدو تجربة الحب عند الشابي، مزيجا غريبًا من نزعات الموت والحياة، إنها الشهد والسم الزعاف، النار والنور، الجمال والهاوية المرعبة، إنها شخصية الشابي التي تتبلور بعد ، حيث يصبح الحب خلقًا متجددًا وفردوسًا جميلًا يتملى فيه الإنسان نعيم الروح الإلهية[2]

ج) التوق إلى الموت :

إذا احتدمت نوازع الموت في أعماق الشابي، وبات يستشعر نفسه كئيبا عاجزا حيال القدر والموت، منطويا على نفسه دون أدنى صلة تربطه بالناس، سعادة الحب ونعمة الاتصال بالطبيعة، أخذ يصرخ ويستغيث كي يجد مخرجا لآلامه المبرحة التي يلقي تبعاتها دائما على الغير، لذلك نراه يسترحم الدهر والحياة، كي يترأف بنفسه المشلولة حيال الصعاب، وبدل أن يثور على نفسه ويتحدى القدر، وهي فكرة شائعة، نراه هنا يتضرع ويستكين لأن نفسه قد بلغت التراقي :

ويح الحياة ! أما تنقضي لديها الرزايا

أما يكفكف هذا الزمان صوب البلايا

يا دهر ! رفقا ! فإن القلوب أمشت شظايا [3]

فهو هنا يطلب من الحب الذي فجعه بحبيبته أن يهون بلاءه :

فبحق الجمال ، يا أيها الحب حنانيك بي ! وهون بلائي

وقد يخاطب ربة الشعر ، كي تخفف غلواء آلامه في غربته الفاجعة على هذه الأرض:

---

[1] المرجع السابق ص 123 .

[2] طنوس جان : ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره ص 85 .

[3] طنوس جان : ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره ص 95 .

يا ربة الشعر ! إني بائس ، تعس عدمت ما أرتجي في العالم

أو يلتفت إلى قلبه المرهف فيطلب منه الرحمة والصبر لأن الموت سيحرره من سجنة الأرض :

رحماك قد عَذبتني بالصمت والدمع الهتون [1]

وهكذا فشعر الشابي عندما تسود نوازع الموت هو شعر الشكوى والتذمر الرضوخ والاستسلام وطلب الرحمة بعدما صرعته المصائب ورمته جريحا على قارعة الطريق، يئن مرعبا من الهول والألم وطبيعي أن ينعي الشابي الحياة العامة ويسير في جنازة نفسه الشاكية، إذ أن شعره في الواقع، رثاء لهذه النفس الضعيفة المتألمة، التي لم تستطع مقاومة أشواك الوجود فخنقت زهرة السعادة قبل أن تتفتح للنور [2].

الشابي يكره حياته ، ويتلذذ بمشاعر الخيبة والسقوط فإذا لم يستطع يد العناية أن توصله إلى القمة فإنه يخور إلى أعماق الجحيم، إذ نجده يقول :

غنني يا صاح ن أنات الجحيم واسقني الآلام [3].

وصل الشابي إلى طريق مسدود، فقد الإيمان والرجاء والمحبة وهي الفضائل الثلاث التي تنقذ الإنسان من السقوط في جحيم الآلام، فالحياة عنده مزيج من اللعنة والشقاء والاغتراب والاضطهاد مع أن تجربة الشابي مع الدهر كانت فاجعة تصادمية، سيصير أيضا روحًا جميلًا يرفرف فوق الغيوم كأنه روح الملائكة أو عذارى الحب والشعر سيغتبط الشاعر بالخلود لأنه يتحقق بعد الحياة وسيعانق هناك بناة النجوم الجميلات :

إلى موت ! يا ابن الحياة التعيس، ففي الموت صوت الحياة الرخيم.

إلى الموت ! إن عذبتك الدهور، ففي الموت قلب الدهر الرحيم.

---

[1] عوين أحمد : الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ص 100 .

2 طنوس جان : ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره ص 96 .

[3] المرجع السابق ص 105 .

إلى الموت ، فالموت روح جميل ، يرفرف من فوق تلك الغيوم [1]

فالعجز عن مواجهة الحياة يؤدي بالشاعر إلى تمني الموت ن يستشعر في أحضانه السلام والهناء بعد الشقاء الأكيد ، الموت هنا هو العصا السحرية أو الحجر الفلسفي الذي يُحَوِلِ خياليا ، تعاسة الشاعر إلى سعادة ، لقد خلع الموت عن وجهه ملامحه وارتدى قناع الفتوه وصار ينفخ في النفوس ربيع الحياة، وأصبح الحياة الحقيقة، وكأن الشابي عاش حياته عبثا، وكأن الموت هو العناية الرحيمة التي انتظرها على غير طائل في هذه الدنيا :

هنالك خلف الفضاء البعيد يعيش المنون القوي الصبوح.

يضم القلوب إلى صدره، ليأسو مناقضها من جروح [2].

لقد استحال الموت بالنسبة للشابي، مهدًا وثيرًا ينام فيه الشاعر ويحظى بالسكينة والهدوء كأنها سعادة الزمان التي لا يعكر صفاءها كدر الوجود، إنه العودة إلى الرحم، إلى الأم، إلى الأرض الأم بعد أن عزت الحياة :

إلى الموت ! فالموت مهد وثير تنام بأحضانه الكائنات .

هذه هي الصورة المثالية التي يسبغها الشاعر على الموت، حيث تتعانق نوازع الحياة والموت في وحدة عجيبة، وعبرها يعيش الشاعر حياته الغائبة، ولو بصورة وهمية، أما صورة الموت الحقيقية المرعبة، فالشاعر يستعرضها بإسهاب في قصيدة مشهورة بعنوان "ياموت" كتبها الشاعر بعد النكبة التي أصابته بع وفاة أبيه :

يا موت ! قد مزقت صدري وقصمت بالإزراء ظهري .

ورميتني من حالق وسخرت مني أي سخر

فلبثت مروض الفؤاد أجر أجنحتي بذعر

---

[1] خفاجي محمد عبد المن [1] عم : الشابي ومدرسة أبولو ص 267 .

[2] المرجع السابق ص 268 .

وفجعتني فيمن أحب ومن إليه أبث سري [1].

فموت أبيه تركه عاجزا ضعيفا، خائفا في مسالك الحياة الوعرة، والموت هنا كأية قوة جبارة تسحق الشاعر، يسخر من هشاشته وقلة حيلته، أما الأب فقد كان الحياة كلها بالنسبة للشاعر، هو الإيجاب والسلب، هو الشمس التي يستمد منها القمر نوره، ولا ريب أن الأب يمثل له الرعاية والحماية من مصائب الوجود ، وهو يقوم بدور مزدوج، يمنح الحياة ويصد عنه الشرور والآلام، وبموته تهدم الصرح الذي يلوذ به الشاعر وفقد المشورة التي كان يستأنس بها في أمور حياته، كان فجره الجميل فأصبح في ليل من العذاب .

وهكذا، فإن غياب الحقيقة يدفع الشابي إذا إلى معانقة الموت حتى ليصبح السؤال فيما إذا كان الموت مشكلة أم الحل ؟ إنه اليأس الناجم عن العجز، أعلى الدرجات التي تتجلى فيها نزعة الموت تدفع الشابي إلى الهروب من الحياة والارتماء في أحضان الموت لأنها أرحم من الحياة الشقية اليائسة إلى ما لا نهاية [2].

[1] طنوس جان : ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره ص 119 .
[2] المرجع السابق ص 120 .

الخاتمـــة :

هكذا نخلص إلى أن الرومانسية برزت في الشعر العربي التونسي خلال النصف الأول من القرن العشرين.

وقد كان ظهورها مصاحبا لمرحلة النهضة الأدبية في القطر الشقيق على إثر التحولات التي شهدها الواقع على المستوى السياسي والإجتماعي والثقافي .

وبعد هذا الطواف في حديقة الرومانسية والبحث في نزعتها الوجدانية خاصة أبو القاسم الشابي الذي كان نموذجا في الوصف إلى التحليل، فحط الرحال في الأخير لنستخلص أهم ما ووفقنا عليه في دراستنا عبر فصليه حيث أننا لا نستطيع أن نزعم بأننا وفينا هذا الموضوع حقه من الدراسة والتحليل، وعلى الرغم من ذلك يمكننا أن نصوغ

بعض الاستنتاجات على المستويين النظري والتطبيقي .

أ. على المستوى النظري : 1. الرومانسية كمذهب لها أسس محددة إستطاعت أن تحدث إنقلابا جذريا خاصة على المذهب الكلاسيكي في تراث الأدب العربي، ولا سيما بإدخالها أنواع أدبية جديدة .

2. هيامهم بالطبيعة : إذ وصل إهتمامهم بها إلى حد الإندماج فيها حيث تجولوا بين مظاهرها وإستكنهوا أسرارها والترنم بجمالها الحر البسيط .

3. جوهر النزعة الإنسانية للوجود الإنساني وكل ما يتعلق بالمجتمع البشري، فنراها تناضل من أجل هذه المجتمعات ما يتماشى مع القيم الإنسانية.

4. إن الرمز في شعر الرومانسيين يعتبر متنفسا لإنفعالاتهم الشخصية .

5. تحدثوا عن الحب والمرأة وكان إغراقهم في هذا الموضوع تنفسيا عن رغباتهم المكبوتة وآمالهم المقيدة .

6. إهتموا بالخيال والعاطفة والتعبير عن الذات .

7. التحرر من العالم المادي إلى العوالم المثالية .

8. البساطة في كل شيء في التفكير والتعبير والتذوق والشعور، وترك النفس على سجيتها، وإتباع الفطرة والطبع الخالص.

ومن ثم صار الأديب والشاعر الرومانسي لا يستوحي إلا نفسه وإلهامه وذوقه وصدى عاطفته، وأصبح يستلهم أدبه من الطبيعة والعوطف الإنسانية .

ب) على المستوى التطبيقي

1) يعتبر الشاعر أبو القاسم الشابي (1909 – 1924) عماد الإتجاه الرومانسي في الشعر التونسي الحديث، إذ من خلال تتبع شعر هذا الرائد، وإنصات إلى نبضاته تبدى لنا أنه قد عرف برومانسيته في الشعر، لأنه إستطاع بشعره أن يزيل من قلبه همومه وغموضه، ويتمثل شعره في مقولتين متناقضتين تعبران عن نزعتي الموت والحياة اللتين تستقطبان ديوانه، المقولة تؤمن أن الحياة غائبة ولذلك ينطوي الشاعر في قبر من الألم واليأس، والثانية تبشر أن الحياة حاضرة فهي جدير إذا أن تعاش .

2) الثورة على التقليد، والدعوة إلى الأصالة والفطرة الشعرية والعاطفة الصادقة وإطلاق النفس على سجيتها، وإلى الطلاقة الفنية، والبعد عن الإفتعال، وإلى التناول الفني السليم للفكرة والمعاني والموضوع، وتوظيفه مجموعة من الوسائل الفنية كالرمز والإيحاء والتجسيد والتشخيص .

3) تركيز الأسلوب، والرجوع إلى النفس والذات والإتجاه إلى الشعر الغنائي العاطفي، وإلى التأمل الصوفي .

4) الغناء بالطبيعة الجميلة وبالريف الساحر .

5)الغناء بالوحدة والألم والسأم والقلق النفسيي العذاب الروحي

6)العناية بالوحدة العضوية للقصيدة وبالانسجام الموسيقي

إن الشاعر الأبولي أبو القاسم الشابي رغم صغر سنه، ووفاته شابا، إلا أنه يملك طاقة تعبيرية تجعل من قصائده تحفل بالكثير من الرومانسية كالحب والخيال والطبيعة والألم التي يكون قد أعطى بها الأدب زخرا، لأن آفاقه كانت آفاق شاعر رومانسي شمولي

وفي الختام لا نجزم أبدا بأنني وفقت كل التوفيق لكن حاولت أن اغوص في هذا البحر العميق الذي يتطلب منا دائما البحث والعور في أعماقه للحصول على لؤلؤه ومرجانه.

أرجوا الله تعالى أن يوفقني إلى مايحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل مفيدا لقراء العربية وباحثيها، إنه نعم المولى ونعم النصير.

قائمة المصادر والمراجع :

1) قائمة المصادر:

آ)المصادر الاجنبية:

1)كبا إميل:أبو القاسم الشابي ديوان اغاني الحياة،دار الجيل،بيروت،طبعة أولى،سنة2002

ب) المصادر العربية:

1)هلال محمد غنيمي :الأدب المقارن،نهضة مصر للطباعة و النشر التوزيع،سنة 2003

2)هلال محمد غنيمي :الرومانتيكية،دار العودة،بيروت،طبعة أولى،سنة 2003

2) قائمة المراجع :

أ) المراجع الأجنبية:

1)انطونيوس بطرس :الأدب تعريفه انواعه ومذاهبه المؤسسة الحديثة للكتاب ،طرابلس لبنان،طبعة أولى، سنة 2013

2)تيغم بول فان :الرومانسية الأدب الأوروبي ، وزارة الارشاد القومي ، سنة1981

ب) المراجع العربية:

2) الأيوبي ياسين : مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ،الكلاسيكية ، الرومانتيكية ، الواقعية ، دار العلم بيروت لبنان ، طبعة ثانية ، سنة 1984 .

3) الأعرج واسيني : إتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، مؤسسة وطنية للكتاب ، الجزائر ، بدون طبعة ، سنة 1976 .

4) بسج أحمد حسن : الخيال الشعري عند العرب ، دار الكتب العلمية ,بيروت ، لبنان ، طبعة أولى ,سنة 1995 .

5) بن عيسى بلاطه : الرومنطقية ومالمها في الشعر العربي الحديث ، دار الثقافة ؛بيروت ، طبعة أولى ، سنة 1960.

6) بسيوني عبد الفتاح فيود : علم البديع ، مؤسسة المختار القاهرة ، طبعة أولى ، سنة 2011 .

7) داوود غطاشة ، حسين راضي : قضايا النقد العربي قديمها وحديثها ، دار الثقافة للنشر والتوزيع عمان ، طبعة أولى ، سنة 2000 .

8) حسان.ن. عبد الحكيم: مذاهب الأدب في أوروبا، دار المعارف بمصر، طبعة ثانية سنة 1979.

9) مندور محمد : الأدب مذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر، طبعة أولى سنة 2004 .

10) محمد كرو : الشابي حياته وشعره ، دار مكتبة الحياة بيروت .

11) نهاد تكريتي : المرجع الكامل في جميع مواد اللغة العربية وشواهدها ، دار دمشق الشام، طبعة أولى ، سنة 1989 .

12) النعماني عبد العزيز : رحلة طائر في دنيا الشعر، الدار المصرية اللبنانية، طبعة أولى سنة 1997 .

13) عوين أحمد: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر طبعة أولى, سنة 2000.

14) عصفور جابر: ذاكرة الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 2002.

15) علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، دار المعارف مصر .

16) عباس مراد حسن: مدارس الشعر العربي الحديث بين النظرية الغربية والتطبيق العربي، دار المعرف الجامعية، طبعة أولى، سنة 2003.

17) عبد العزيز طلعت : الشعر الوجداني شعراء أبولو : المكتبة القوية الحديثة طنطا ، طبعة أولى .

18) عبد الرحمن عثمان: معالم النقد الأدبي، دار المعارف بمصر، سنة 1967.

19) قريرة زرقون نصر : الإتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث بالمغرب ، دار الكتب الوطنية ، طبعة أولى سنة 1926 .

20) شلبي عبد العاطي : فنون الأدب الحديث ، دار الطبع والنشر ، الطبعة الأولى ، سنة 2005 .

21) شامي يحيى : شرح ديوان أبي القاسم الشابي ، دار الفكر العربي بيروت ، طبعة أولى، سنة 1997 .

22) تيغم بول فان : الرومانسية في الأدب الأوروبي ، وزارة الإرشاد القومي ، سنة 1981

23) خليل إبراهيم: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة طبعة ثالثة، سنة 2010.

24) الخير هاني : أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود ، دار فليتس طبعة أولى ، سنة 2008 .

25) خفاجي محمد عبد المنعم : الشابي ومدرسة أبولو ، طبعة أولى سنة 1986 .

3) الدوريات:

1) عيان أحمد : المذاهب الأدبية النقدية الحديثة ومميزاتها العامة ، جريدة المنطلق ، الإتحاد الإبنان للطلبة المسلمين لبنان ، العدد 78-79 سنة 1991 .

الفهرس